439

HARLEQUIN

روايات أحلام

دموع الورد

آن ميثر

www.rewity.com
^RAYAHEEN^

دموع الورد

كان عليها أن تمنحه ما يريده حقا .. تمنحه طفلا!

كان جاك ريوردان بالغ الروعة ورجلا حقيقيا. فلا عجب أن ترغب به النساء. ولكن هل هو من القوة بحيث يقاومهن!

كانت راشيل تخاف على زوجها. فقد ازداد ابتعادهما عن بعضهما البعض منذ فشلت في منحه طفلا.

ولكن الرجل الحقيقي بحاجة إلى امرأة حقيقية. وهذا ما كان على راشيل أن تكونه إذا أرادت استعادة جاك. ستحاول الصبر عليه. وإغراءه وأن تجعله يحبها بالطريقة الوحيدة التي يعرفها. وربما. هذه المرة. ستحمل بالطفل الذي يريده.

www.rewity.com
RAYAHEEN

لبنان	3000ل.ل	البحرين	1دينار
سوريا	100ل.س	السعودية	10ريال
الأردن	1.5دينار	مصر	8جنيه
الكويت	750فلس	المغرب	15درهم
الإمارات	10دراهم	تونس	2.50دينار
قطر	10ريال	عمان	1ريال

آن ميـــثر

بدأت آن ميثر بالكتابة منذ طفولتها وتطوّرت أعمالها تدريجياً من روايات المراهقين الغرامية العاصفة إلى روايات الحب المتزنة التي تهوى مطالعتها. وهي متزوّجة وأمّ لولدين، يعيشون معاً في شمال إنكلترا. تستمتع آن ميثر إلى جانب الكتابة بهواياتٍ عديدة، منها المطالعة وقيادة السيّارات والسفر إلى أماكن مختلفة حيث تعثر على أفكارٍ لرواياتٍ جديدة. تعتبر آن ميثر نفسها محظوظة جداً بممارسة عملٍ لا تستمتع به فقط، بل يدرُّ عليها المال كذلك.

١ ـ المواجهة المرة

– ثمة سيدة شابة تريد أن تراك، يا سيدة ريوردان.

كانت مدبرة المنزل قد دخلت من الباب الزجاجي في الجهة الخلفية للمنزل ووقفت تنظر إلى راشيل.

هبّت راشيل واقفة، لم تكن في مزاج حسن، كما لا ترتدي ملابس لائقة لاستقبال زائرين. وهي لا تعرف هذه الزائرة وإلا لعرفتها مدبرة المنزل، إنها إما من زبائن جاك وإما جامعة تبرّعات. وفي كلا الحالتين، ما الذي منع مدبرة المنزل السيدة غريدي من التعامل معها بنفسها؟

سألتها معتبرة المرأة من زبائن جاك: «ألم تخبريها أن السيد ريوردان ليس هنا؟».

كان جاك نادراً ما يلتزم بأي من القواعد التي تعلمت هي أن تتبعها. وأجابت السيدة غريدي: «لم تشأ أن ترى السيد ريوردان. طلبت أن تكلمك، قالت إن اسمها كارين جونسون، ويبدو أنها تظنك تعرفينها».

عندئذ، شحب وجه السيدة ريوردان، وتملكها على الفور شعور بالدوار والغثيان، وكادت تفقد توازنها لولا التعريشة الخشبية التي تمسكت بها. وكانت السيدة غريدي تعرفها إلى حد جعلها تلحظ شحوبها المفاجىء فأسرعت تعبر أرض الفناء لتمسك بذراعها تطمئنها: «ما كان ينبغي أن تجلسي في هذه الطقس الحار من دون قبعة، تعالي إلى الداخل وسأحضر لك كوباً من الشاي المثلج».

www.rewity.com
RAHEEN

فقالت راشيل وهي تشعر بشيء من اللون يعود إلى وجهها: «أنا بخير، خذي الآنسة جونسون إلى غرفة الجلوس ريثما أغسل يديّ».

فقالت مدبرة المنزل، بإلفة من أمضى في هذا البيت وقتاً طويلاً: «هل هذا تصرّف حكيم؟ يمكنني أن أخبر الزائرة أنك لست موجودة، وستأتي في يوم آخر».

تملك راشيل الإغراء بأن تقبل، ولكن تجنب اللقاء لن ينهي المسألة. ما من شيء سيتغير، لقد أذهلتها جرأة المرأة بقدومها إلى هنا. هل جعلها جاك تفعل هذا؟ لكن الشك تملك راشيل. فعلى الرغم من أخطاء جاك، إلّا أنه ليس قاسياً إلى هذا الحد. وقالت بحزم: «خذيها فقط إلى غرفة الإستقبال ولن أتأخر، ويمكنك أن تقدمي إلينا الشاي معاً».

لكنها لم تكن واثقة من أن بإمكانها أن تبتلع شيئاً بحضور كارين جونسون.

صعدت إلى الطابق العلوي مستخدمة السلم الخلفي ومن ثم توجهت إلى غرفتها. وبالرغم مما قالته للسيدة غريدي إلّا أنها ما زالت تشعر بشيء من عدم الثبات حين تمشي؛ ولهذا دخلت الحمام وغسلت وجهها بالماء البارد.

جمال ما يحيط بها هدّأ أعصابها. هذا الجناح المكوّن من غرفة جلوس وغرفة نوم وحمام كان لها وحدها. ورغم أنّ هذا إسراف أكثر مما كانت تريد، إلا أنها لا تنكر أنه يهدىء من أعصابها المنهكة.

فكرت غير مصدقة في تلك المرأة التي بلغت بها الوقاحة حد القدوم إلى هنا. وتساءلت عن سبب قدومها، وماذا ستقولان لبعضهما البعض. إنها عشيقة جاك، وراشيل زوجته. من المؤكد أنه سيعلم بما ستقوله لها.

نظرت إلى صورتها في المرآة وأجفلت وهي ترى الصدمة التي تشعر

بها قد ارتسمت على وجهها فبدت أشبه بأرنب فوجيء بأضواء سيارة.

وأخذت تفكر بتعاسة في طريقة تتجنب بها هذه المقابلة التي لا مناص منها.

لكن هذا لن ينفع، وهي لا تستطيع أن تسمح لهذه المرأة بأن تأتي إليها في بيتها لترهبها..

إنها السيدة هنا وليس كارين جونسون. ولو أن لديها عقلاً، لطردت هذه المرأة حتى من دون أن تسمع ما تريد أن تقوله.

لكن هذه الفكرة جاءت متأخرة، لأن كارين جونسون أصبحت في غرفة استقبالها الآن تحتسي الشاي، ولا يمكنها أن تدعها تنتظر. ويجب ألّا تدعها تنتظر، عليها ألّا تمنح المرأة سبباً يجعلها تعتقد بأنها أجبن من أن تواجه عشيقة زوجها.

أخذت نفساً عميقاً، ثم تفحصت مظهرها بعين ناقدة. كان اليوم حاراً للغاية، ولأنها لم تكن تتوقع زائرين، ارتدت سروالاً قصيراً شاحب الخضرة وبلوزة حريرية فيروزية اللون فضفاضة ومن دون كمين ما كشف عن احمرار باهت على ذراعيها.

هل عليها أن تغير ملابسها؟ هل عليها أن تزين وجهها قبل أن تواجه ضيفتها؟ وأخيراً، قررت وضع القليل من ظلّ العينين ومن اللون البني اللامع على شفتيها لتبرز شعرها الأشقر.

عادت تتفحص مظهرها ثم بدا عليها الرضى. على أيّ حال، لقد تأخرت بما يكفي، وهي لا تريد أن تظنها كارين تبالغ في التأنق من أجلها. تنفست مرة أخرى بعمق، ثم نظرت إلى الغرفة الأنيقة لتمنح نفسها الثقة. لكن شعوراً بالضيق تملكها إذ أدركت أنه، مهما حدث بينها وبين هذه المرأة، ما من شيء سيعود كما كان من قبل.

كانت كارين تجلس على أريكة مخملية بجانب المدفأة في غرفة الاستقبال. إنها شقة أخرى أنيقة حيث النوافذ مفتوحة على الحديقة.

www.rewity.com

ورغم أن المكان يحتوي على جهاز تكييف جيد، إلا أن راشيل تفضل الهواء النقي. وعندما تكون وحدها في البيت، تفتح النوافذ كلها.

ترددت راشيل على العتبة، إذ شعرت ولأول مرة بنقص في ثقتها بنفسها كمضيفة. بدت لها كارين غاية في الاسترخاء وكأنها في بيتها. أي غريب قد يراهما سيسيء الفهم إذ سيظن أنّ كارين هي صاحبة البيت، بينما راشيل هي الدخيلة.

وخلافاً لراشيل، كانت كارين ترتدي ملابس رسمية جداً بالنسبة إلى يوم حار كهذا، هي عبارة عن طقم بتنورة قصيرة ذي لون وردي باهت يكشف عن ساقيها وحذاء خفيف عالي الكعبين.

بدت واثقة من نفسها ما جعل الضيق يتملك راشيل. إنها أنيقة محنكة، واثقة من قدرتها على استمالة الرجل. كما كانت حمراء الشعر رغم تشكيك راشيل في أن يكون اللون طبيعياً أكثر من تلك الابتسامة التي ارتسمت على شفتي المرأة عندما رأت راشيل على العتبة.

وقفت على الفور، وبالرغم من التأثير الفوري الذي خلّفته على راشيل، لاحظت في مظهرها توتراً وهي تقف متشبثة بحقيبة يدها بيديها الاثنتين. لم تكن بطول راشيل لكنها مثيرة، وصدرها ممتلىء.

في البداية لم تنطق بأيّ كلمة بل وقفت تنظر إلى راشيل، منتظرة منها أن تبدأ الكلام. أرادت راشيل أن تصيح بها تسألها عما جاء بها إلى هنا... لكنها رأت في ذلك عملاً صبيانياً، فدخلت الغرفة وقالت ببرودة ظنتها مثيرة للإعجاب: «أظنك الآنسة جونسون؟».

وتابعت تقول وكأنها لم تر صورة لها مع جاك: «إذا كنت تبحثين عن زوجي، فآسفة لأنه ليس هنا».

قالت وقد استعادت ثقتها بنفسها، ومن دون أن تظهر ما إذا لاحظت أنّ راشيل تعرّفت إليها بسهولة: «أعرف هذا يا سيدة ريوردان. إنه في البريستول يوقع على العقد المتعلق بالتطور الجديد للتسوّق».

وخطر لراشيل التي حاولت إظهار عدم الاكتراث أنها تعرف برنامج عمله. لا شك أن جاك يعلمها دوماً بتحركاته. وقالت بعفوية رغم أن جاك نادراً ما يخبرها بتحركاته هذه الأيام: «هذا صحيح ما يجعلني أتساءل عن سبب مجيئك إلى هنا. أظن أنّ لدينا ما نقوله لبعضنا البعض».

- بل لدينا. لِمَ لا نجلس معاً على الأريكة، يا سيدة ريوردان؟ ما عليّ أن أقوله لك قد يسبب لك بعض الانزعاج.

تساءلت راشيل بصمت كم سيكلفها استبدال هذه الأرائك... آلاف الدولارات، ولكن عدم رغبتها في تذكر هذا المشهد لاحقاً سيستحق دفع ذلك المبلغ. وقالت آملة أن تفهم المرأة هذه الإشارة وتختصر كلامها وتذهب: «سأبقى واقفة».

- كما تشائين.

وهزت كارين كتفيها، لكن قبل أن تنطق دخلت مدبرة المنزل بصينية عليها كأسان مستطيلان وإبريق مليء بشاي مثلج. وتذكرت راشيل ما طلبته من مدبرة المنزل، وندمت على ذلك لكن الوقت فات على تغيير رأيها.

سألتها مدبرة المنزل: «أتريدين شيئاً آخر؟».

- لا، شكراً.

فقالت مدبرة المنزل بدهاء: «حسناً، اجلسي وخذي الأمور بهدوء، ما زال الضعف يبدو عليك. هل أنت واثقة من أنك بحالة حسنة؟».

- أنا بخير، يا سيدة غريدي. إذا احتجتك سأناديك.

آخر ما تريده راشيل هو أن تظن كارين جونسون أن حضورها سبب لها المرض. واتبعت كلامها بنظرة ذات معنى إلى مدبرة المنزل فرفعت هذه حاجبيها، لكنها لم تجادلها. وبعد ذهابها أشارت راشيل إلى الصينية قائلة: «تفضلي. لا بد أنك تشعرين بالحر. أرجو ألّا تكوني قد

ارتديتِ طقمك هذا من أجلي».

تملك راشيل سرور خبيث وهي ترى إجفال كارين لقولها هذا، وفكرت في أنها تستحق أكثر من هذا لحضورها إلى هنا. ما الذي تريده؟ ألا يكفيها أن تعاشر زوجها جاك.

وأخيراً، قالت كارين: «أنا أرتدي ملابس رسمية للمناسبات. الملابس هامة، ألا تظنين ذلك؟ خصوصاً إذا شئت أن تسرّي رجلاً».

ردّت راشيل بحدة: «أنا ألبس لأسرّ نفسي».

لم تكن صادقة تماماً، لكنها اعتادت ذلك منذ دخل جاك حياتها ودمّرها.

قالت كارين وهي تسكب لنفسها كأساً من الشاي: «هذا ما أراه».

وتمنت راشيل لو تسكب لنفسها كأساً هي أيضاً، لكنها خافت أن ترتعش يداها حين تفعل هذا فيفتضح أمرها. لا، من الأفضل أن تبقى حيث هي إلى أن تذهب المرأة.

- كم هو لذيذ!.

سواء لاحظت الزائرة تردد راشيل أم لم تفعل فقد أكملت: «هل أنت واثقة من أنك لن تغيري رأيك، يا سيدة ريوردان؟ أنا واثقة من أنك تشعرين بالحرّ مثلي تماماً».

انتقلت راشيل لتقف بجانب الأريكة المقابلة وأراحت يدها على الوسادة بخفة وهي تقول بهدوء: «لا بأس. لماذا لا تتحدثين، يا آنسة جونسون؟ إذا كان هدفك هو أن تصدميني بوجودك، فأنت تضيعين وقتك، كما ترين».

أعادت كارين كأسها إلى الصينية، ثم شبكت يديها في حجرها، ونظرت إليها بحقد: «أنت تظنين نفسك آمنة، أليس كذلك يا راشيل؟».

وتابعت تقول ساخرة، مظهرة أنها لا تشعر برهبة إزاءها: «إنني أتساءل عما سيكون عليه شعورك حين تعلمين أنني حامل بطفل جاك».

شعرت راشيل بطعنة في أحشائها، وحاولت جاهدة ألّا تصرخ ألماً للعذاب الذي شعرت به. لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً. لا بد أن هذه المرأة كاذبة! على أيّ حال، بعد العذاب كله الذي عانته وهي تحاول أن تمنح جاك الطفل الذي يريد، لابدّ أنه أكثر عطفاً وحناناً من أن يجعل عشيقته تحمل.

لاحظت أن كارين تراقبها بدهاء، وأحست بالغريزة بأن هذه المرأة كانت تعلم أنها أجهضت ثلاث مرات. هل أخبرها جاك؟ ربما فعل ذلك، رغم أن راشيل فضلت أن تعتقد بأن موظفة في مكتبه هي التي فعلت ذلك.

لكن ذلك لم يكن سراً. ففي البداية أظهر جاك تلهفاً لأن يعلن للعالم كله أنه سيصبح أباً لكنه وبعد أن فقدت طفلين اختار أن يحتفظ بحملها التالي سراً، وكان هذا حسناً لأنها فقدت ذلك الحمل أيضاً.

لكن هذه اللحظة ليست مناسبة للتفكير في أمور كهذه فيما عينا كارين على وجهها تراقبان أي دليل على ضعف. كانت راشيل تعرف كيف تخفي شعورها الحقيقي إلى حين خروج هذه المرأة.

لكنها لم تستطع أن تمتنع عن أن تلقي بنفسها على الأريكة. لم تكن ساقاها من القوة بحيث تحملانها في هذه اللحظة، وكل ما أملته هو ألّا يبدو عليها الذعر الذي تشعر به.

كانت تعلم أنها شاحبة اللون، لكنها لم تستطع منع ذلك. وكان عليها أن ترغم ملامحها المتجمدة على الكلام. لكن، وقبل أن تستطيع أن تتكلم، مالت كارين إلى الأمام وسكبت بعض الشاي المثلج في كأس أخرى ثم قدمتها لها: «تفضلي».

ورغم أن هذا العمل كان مهذباً إلا أن راشيل أدركت أنه لا يعكس أيّ عطف حقيقي.

تمتمت وهي تكاد تختنق بالكلمات: «لا... شكراً».

هزت كارين كتفيها وهي تعيد الكأس إلى الصينية، قائلة بعدم اهتمام: «كما تشائين».

ثم رفعت حاجبيها وسألت: «والآن، ماذا ستفعلين بالنسبة لهذا الأمر؟».

حدقت راشيل فيها غير مصدقة، مدركة أن ليس لديها فكرة عما عليها أن تقوله. ليس لديها طاقة كافية لتوجيه أي أسئلة، والحقيقة أنها لم تشأ أن تعرف الأجوبة عن أسئلتها. من الواضح أن حمل كارين ثبت، وإلا لما جاءت إلى هنا، لكن لو علم أن جاك بالأمر لأخبرها أم أنذرها؟ آه، ربما لا! يا إلهي... لا تظن أنّ بإمكانها مواجهة ذلك.

بللت شفتيها وقالت: «ماذا سأفعل بالنسبة لهذا الأمر؟ لا أظنني فهمت هذا السؤال. لا أنوي القيام بأي شيء يا آنسة جونسون. كما أن ليس لديّ سوى كلمتك في هذا الشأن، ومن المؤكد أن مواجهة ذلك راجعة إليك، بالطريقة التي تختارينها».

انتصبت كارين واقفة وقالت بغضب: «آه، كلا! لا يمكنك أن تتهربي من ذلك، يا سيدة ريوردان. أنا لم أحضر إلى هنا لكي أطرد وكأنني متسوّلة».

ارتفعت الهستيريا في حنجرتها لكنها قاومتها. لم تكن هذه قضية هزل، ولم تكن هذه هي المرة الأولى التي تتمنى فيها لو أن أمها ما زالت حية.

لكنها لم تكن حية، فقد ماتت منذ عشرة أعوام، ولن يساعدها أحد الآن سوى نفسها. وعندما رأت كارين تهمّ بالقيام بهجوم آخر، قالت لها بحزم: «أنا آسفة لشعورك هذا يا آنسة جونسون. ولكن ليس بإمكاني أن أفعل شيئاً».

حملقت كارين فيها وقالت: «يا لجهنم! يمكنك أن تبدئي بمنح جاك الطلاق، أم أنك من الأنانية بحيث تحرمينه من أن يكون له ولد؟».

ظنت راشيل أن هذه المرأة لن تقول الآن ما يؤلمها أكثر مما آلمها كلامها سابقاً... لكنها كانت مخطئة، وتابعت كارين تقول بازدراء: «يجب أن تعلمي أنه لم يتزوجك إلا ليحصل على شركة أبيك. النساء أمثالك يشعرنني بالغثيان، فقد وجدت طوال حياتك من يحميك ويرعاك، ويتأكد من أن الأميرة الصغيرة لم تلوّث يديها بأي عمل مهما كان تافهاً».

- هذا ليس صحيحاً!

بالرغم من تصميمها على ألّا تتورط بجدل مع هذه المرأة، إلّا أنها اضطرت للدفاع عن نفسها. عندما تزوجت جاك كانت قد تركت لتوها كلية الفنون من دون أن تبدأ بالبحث عن عمل. لكنها سبق ووضعت بعض الأفكار وسلمتها للناشرين، للدراسة. وعندما اكتشفت أنها حامل، كانت تعمل على أول محاولة لها في الرسوم التوضيحية. على أيّ حال، لم يكن هذا مهماً، لأن كارين تجاهلتها وهي تتابع بالإزدراء نفسه: «لا أدري لماذا تزوجت جاك، أو بالأحرى أنا أدري، فبالإضافة إلى وسامته غير العادية، لا بد أنك كنت تعلمين أنه لا يحبك. أعني، أنه رجل حقيقي وليس واحداً من فتية المدارس الذين اعتدت عليهم. جاك ليس ناعماً ورقيقاً، وهو بحاجة إلى امرأة حقيقية، إليّ أنا».

- أحقاً؟

استطاعت راشيل أن تظهر السأم، وسرّها أن رسم هذا تعبيراً مختلفاً على ملامح كارين، فأجابت بحدة: «نعم... حقاً. وهذا هو سبب قدومي لأراك بنفسي. جاك يشعر بالأسف لأجلك، كما أظن، ولا يريد أن يؤلمك. لكن هذا الوضع لا يمكن أن يستمر خصوصاً الآن وأنا سأنجب له طفلاً».

انتصبت راشيل واقفة. ما زالت تشعر بعدم التوازن وكأن لا علاقة بما يحدث لها وإنما هي مجرد شاهدة. لكنها لم تستطع أن تسمح لها

بالاستمرار إذا شاءت الحفاظ على مظهرها الخارجي من احترام النفس. فهذا بيتهما، هي وجاك... وهي لا تستطيع أن تسمح لهذه المرأة بأن تجعلها ضحية في بيتها الخاص.

- أظن أنه من الأفضل أن تخرجي يا آنسة جونسون، وستوصلك مدبرة المنزل إلى الباب. أرجو ألّا تأتي إلى هنا مرة أخرى.

فوجئت كارين بالنبرة المتسلطة التي بدت في صوتها، بينما كانت تعبر الغرفة وتقرع الجرس تستدعي مدبرة المنزل.

تقدمت كارين نحوها خطوة بشكل عدواني: «لا يمكن أن تعامليني بهذا الشكل».

- بل أظن أنّ بإمكاني ذلك.

استمدّ صوت راشيل مزيداً من الثقة من اضطراب عدوتها، فتابعت قائلة: «أنت غير مرغوب فيك هنا، يا آنسة جونسون. أشكريني لأنني لم أستدع الشرطة لإلقائك خارجاً».

- ما كنت لتجرؤي؟

ونظرت إلى راشيل بعنف وكأنها تريد أن تتأكد مما إذا كانت تعني ما تقول، ثم ضحكت بازدراء: «تصوري ما ستقوله الصحافة عنك من أنك تضايقين خليلة زوجك. لا، إنك مخادعة، يا سيدة ريوران، ولعلك ترتعشين الآن خوفاً من أن أذهب إلى الصحافة بنفسي».

قالت بصوت مرتجف: «أخرجي من هنا».

لكن عزيمتها لم تهن. وبما أنها أطول من غريمتها، انحنت فوقها تخيفها، صارخة بها أن تخرج قبل أن تلقي بها خارجاً بنفسها. ورغم أن كارين استعادت مظهر التحدي، إلا أنها توجهت نحو الباب كارهة، وهي تقول: «أنت لم تسمعيني حتى النهاية، انتظري حتى أخبر جاك بطريقة معاملتك لي. لن تكوني بنصف هذا الغرور حينذاك».

- آه... أنا من سيخبر جاك عن زيارتك. نعم، سيسره أن يسمع

رأيك في سلوكه.

- ماذا تعنين؟

بان الحذر على كارين فابتسمت راشيل ساخرة: «أنا متلهفة إلى أن أخبره أنك قلت إنه تزوجني فقط ليحصل على الشركة. وكأنك تعنين أنه ما كان لينجح وحده».

- أنت مخيفة!

في الواقع ابتدأت راشيل تستمتع بشكل شائن، وهي تجيب: «أنا؟ ماذا حدث يا آنسة جونسون؟ هل بدأت تدركين أنك ربما تحدثت أكثر مما ينبغي؟».

تملك كارين الانزعاج: «لا، لا يهمني ما تقولين. سأنجب طفلاً من جاك. قد تحصلين على بعض النقاط الإيجابية، يا سيدة ريوردان، لكنني أملك الأوراق الرابحة».

غرزت راشيل أظافرها في راحتيها، وقالت: «واحدة منها».

وعندما التفتت كارين إليها غير مصدقة، أضافت راشيل: «ألم يخبرك؟ أنا أيضاً حامل».

٢ - هل أحلم؟

عندما عاد جاك إلى المنزل كان الوقت متأخراً. لم يتطلب توقيع الاتفاقية وقتاً طويلاً، لكنه تناول الغداء مع رئيس البلدية أتبعها بجولة في المدينة... قبل أن يتناول عشاءً مبكراً مع مهندس البناء ومسّاح الأراضي وآخرين.

كان على جاك أن يجاريهم رغماً عنه قبل أن يعتذر بشكل مهذب ويغادر.

لقد سارت الأمور على ما يرام، وبدا الكل راضياً بالاتفاقية، وشعر جاك بأنه قام بواجبه بشكل كافٍ باعتبار أن مزاجه لم يكن يسمح بأيّ من ذلك. منذ تحدث إلى طبيبه يوم الثلاثاء، وهو يجد صعوبة في أن يفهم حياته وحتى يجد صعوبة في قضاء بعض الوقت بصحبة راشيل.

في الأشهر الأولى من زواجهما أدرك على الفور أن ثمة خطأ ما، ولكن هذه الأشهر الأخيرة كانت كالجحيم. كان نومه سيئاً وشهيته معدومة. لقد أنهكه ضغط العمل والمسؤوليات الأخرى التي تولاها الآن بعد وفاة والد راشيل، فضلاً عن تعامله مع كارين جونسون. أصبح يعمل أكثر مما ينبغي حتى أن السيدة غريدي مدبرة المنزل لاحظت ذلك لكنها أذكى من أن تتدخل.

دخل من البوابة المفتوحة إلى البيت الذي بناه بعد زواجه من راشيل مباشرة، فتملكه شعور بالغ بالارتياح. كان شاكراً أيضاً للظلام الذي غطى التعب الذي يعلم أنه يبدو على ملامحه. على أيّ حال، كان بيته

يبعد عن بريستول أكثر من مئة ميل. ورغم حبه للقيادة، إلّا أنه تمنى لو أنه سمح لسائقه بأن يقود السيارة هذه الليلة. لكن آخر شيء يريده هو أن يراود دان الشك في ما يتعلق بصحته، وقد يشعر بأن من واجبه أن يخبر راشيل فهو شغوف بزوجة سيده جاك.

كان ثمة أضواء في المنزل، رغم أن الساعة تجاوزت الحادية عشرة. لا بد أن مدبرة المنزل مستيقظة فقد ولّت الأيام التي كانت تنتظره راشيل فيها طويلاً. وبدا الأسف على ملامحه. فهو يفتقد تلك الأحاديث الطويلة في آخر الليل مع زوجته، والفرص التي وفرتها له تلك الأحاديث كي يرى الأحداث اليومية بأبعادها الصحيحة. نادراً ما يتحدثان عن الشركة هذه الأيام، ومنذ وفاة والدها منذ عامين، لم يعد لديه أحد في الأسرة يشاركه مشاكله.

ذنب من هذا؟

لكن جاك لم يشأ أن يفكر في هذه الأمور الليلة، فهو متعب للغاية ومكتئب أيضاً وهو يشعر بالغثيان لأنه رئيس شركة «فوكس كونستراكشن» أولاً، وجاك ريوردان ثانياً. وبعد أن أوقف السيارة بجانب المدخل، خرج منها من دون أن يعبأ بإدخالها إلى المرآب. وإذا سُرقت، فليكن، هذا لا يهمه كثيراً.

لوى شفتيه... هذه هي الحياة، تعطيك كل ما تريده بيد ثم تستعيده باليد الأخرى. نعم، هذا هو شأن القدر معه.

رن هاتفه الخلوي في جيبه فكبح لعنة وأخرجه. إنها كارين! كما توقع. ضغط الزر وقطع الاتصال. يا لجهنم! لقد أمضت النهار في الاتصال به، والأشهر الثلاثة الماضية أيضاً، ولا رغبة لديه في الحديث معها الليلة.

أقفل الهاتف، ثم أدار مفتاحه في القفل بهدوء، مدركاً أن راشيل نائمة الآن من دون شك. كانت تتأخر دوماً في النوم، وتستيقظ حال

دخوله الغرفة، وإن كان هذا لا يعني أنهما يتقاسمان غرفة النوم نفسها هذه الأيام. منذ فقدت راشيل جنينها الأخير، تركته فأدرك أنها تفضل أن تنام وحدها.

كان ثمة أضواء تتألق في الردهة الفسيحة، عاكسة ضوءاً ناعماً على الأرض الخشبية. وبدت اللوحات التي كانا، هو وراشيل، قد اختاراها معاً أشبه بظلال على الجدران.

معظم غرف الطابق السفلي تؤدي إلى الردهة، لكن الأبواب كانت مغلقة ولا يلوح أي ضوء من تحت أي منها. إذا كانت مدبرة المنزل مستيقظة، فستكون في المطبخ. وتوجّه جاك إلى هناك لكنه وجد المطبخ مظلماً هو أيضاً. وعندما أشعل النور رأى المكان خالياً، فتوجه إلى الثلاجة عابساً وأخرج إبريق الحليب ثم رفعه إلى شفتيه.

أخذ جرعة ثم مسح فمه بقفا يده، وأغلق باب الثلاجة. وعندما صعد إلى الطابق العلوي أخذ إبريق الحليب معه، ولن تتذمر مدبرة المنزل وهي التي تخبره دوماً بأن عليه أن يتناول أطعمة مغذية.

لكنه نسي أمر مدبرة المنزل عندما اقترب من فسحة السلم في الطابق الأول. أدرك تدريجياً أن ثمة ضوء هنا أكثر من الضوء الذي اعتادت راشيل أن تتركه له من باب اللياقة. شعر بحرارة، ورائحة غريبة... هل هي رائحة عطر؟ بخور؟ ولاحظ وهج ضوء يتسرب من باب غرفة راشيل المفتوح.

أول ما خطر له هو النار، إذ لم يجد سبباً آخر لهذا الضوء المتقطع. وتسارعت خفقات قلبه وحاول أن يهدىء نفسه ولكن عبثاً. يا إلهي! هل إحدى الاتصالات الهاتفية التي رفض تلقيها من هنا؟

وضع إبريق الحليب جانباً ثم صعد السلم بسرعة بالغة. بالرغم من احتجاجه، انتقلت راشيل من غرفة نومهما المشتركة إلى إحدى غرف الضيوف في الجانب المقابل للمنزل. ولهذا لم يستطع أن يفكر في سبب

آخر يفسر له انفتاح بابها. ورغم التوتر المتزايد في صدره كان أكثر قلقاً على زوجته منه على صحته.

المشهد الذي طالعه في الغرفة جعل أنفاسه تنقطع. نعم، رأى ناراً ولهيباً، لكنه لهيب عشرات الشموع المعطرة التي صفت في أنحاء غرفة النوم. كانت شموعاً طويلة نحيلة وقصيرة غليظة، وكانت الحرارة والرائحة قويتين تديران الرأس.

وقف عند الباب، واضعاً يداً على قلبه الذي تسارعت خفقاته فيما استند بالثانية على جانب الباب. إستطاع أن يرى من خلال الضباب الخفيف أنّ الغرفة خالية، وكأن قوة سحرية اختطفت راشيل، تاركة هذه الشموع رموزاً تحترق في مكانها.

كافح ليلتقط أنفاسه وقد استند إلى الباب بكل وزنه الآن، محاولاً أن يفهم ما يرى. ماذا يعني هذا؟ هل تمارس راشيل بعض الطقوس الدينية الغريبة أو ما شابه؟ لماذا تشعل هذه الشموع كلها؟ يا إلهي، ما الذي يحدث؟

دس يده في جيبه وأخرج حبوباً أعطاه إياها الطبيب ثم وضع واحدة منها في فمه، شاعراً بشيء من الارتياح عندما أخذت خفقات قلبه تهدأ. لعل راشيل عرفت بحالته وهي تحاول أن تقتله. وارتسمت ابتسامة خفيفة على فمه لهذا التهكم الواضح. ولكن ما هذا؟

همَّ بالوقوف عندما فُتح باب حمام راشيل، فنظر غير مصدق إليها وهي تخرج إلى الغرفة حافية القدمين. وعلى ضوء الشموع المعطرة، رأى عينيها تتحولان إليه، وإذا به ينتبه إلى أنها لا تكثر من الملابس.

بدت له مذهلة، كانت أشبه بإلهة رشيقة طويلة الساقين في ملابسها الداخلية هذه.

- يا إلهي!

لم يستطع أن يتحكم في نفسه، وحولت راشيل إليه عينين بريئتين،

www.rewity.com BAYAHEEN

ثم قالت برقة وكأنها رأته لتوّها: «آه، جاك كنت في انتظارك».

شعر جاك وكأنه مات وذهب إلى الجنة. لا بد أن قفزه على السلم هو ما فعل به هذا، وها هو ذا الآن يستمتع بحياة خيالية في مكان آخر. لا يمكن أن يكون ما رآه حقيقة بل هو حلم. لا بد أنه كذلك، إنه لمحة عما يمكن أن تكون عليه حياتهما. وقال بضعف: «مرحباً».

تطلبت هذه الكلمة منه جهداً، ثمة كلام كثير كثير يريد أن يقوله... عليه أن يقوله، لكنه كان أكثر ذهولاً وارتباكاً من أن يستطيع أن يبتكر أو يبدع.

قالت له وهي تتقدم نحوه لتزيل خصلة شعر عن عينيه: «يبدو عليك التعب، هل كان يوماً مرهقاً؟».

كانت أصابعها باردة على جبينه الحار، وعندما مدت ذراعها نحوه، أحسّ برائحة جسدها الحارة أكثر فعالية وإثارة من الشموع التي تحيط بها.

شعر جاك بالحرارة تسري في عروقه على الفور. مضى أكثر من سنتين على آخر مرة عاشرها فيها معاشرة الأزواج لكنه تذكر مدى روعة العلاقة بينهما. ولسوء الحظ، كان عليه أن يلمسها فقط لكي تحمل. لكن الزمن والتجربة المؤلمة علماه أنها لن ترحب بأية علاقة معه مرة أخرى.

قال سامعاً صوته الأجش، شاعراً بخفقات قلبه تتسارع برغم الدواء الذي تناوله: «راشيل».

أجابته وهي تمسك بيده تجذبه إلى دفء وضوء الغرفة: «هيا بنا، يا جاك».

ثم أشارت إلى السرير الضخم الذي لم يتشاركاه قط وأضافت: «اجلس، هل تريد شراباً؟».

هز رأسه رافضاً. إذا كان هذا حلماً، فهو لا يريد ما يزيد من رغبته.

وإذا لم يكن حلماً، فعليه ألّا يقاطعه.

تركها تدخله إلى الغرفة، سامحاً لها بأن تغلق الباب خلفهما، ثم تدفعه ليجلس على طرف السرير الفسيح. كانت ساقاه غير ثابتتين نتيجة الإثارة التي أحدثتها في جسمه، ونتيجة التأثيرات الدفينة لوضعه.

حبس أنفاسه عندما ركعت أمامه، ولكن كل ما فعلته هو أنها خلعت حذاءه وجوربيه. وعندما أصبح حافي القدمين، رفعت يديها الناعمتين وأخذت تمسّد ربلتيّ ساقيه برقة. وعندما أسند نفسه على مرفقيه، ابتسمت له باتزان. هل كانت تعلم أن هذه هي الطريقة الوحيدة التي تمنعه من الوصول إليها؟ لا بد أنها واعية إلى ما تملكه من إثارة.

ولكن كل ما قالته هو: «ألا تشعر بتحسن؟».

وكأن تصرفاتها هذه هي أمور قد تعوّدها. فكر في أنها ليست بهذه البراءة فما الذي تهدف إليه، يا ترى؟

وعندما وقفت، وأصبحت بمحاذاته، لم يستطع أن ينكر أنها مثيرة بشكل جهنمي.

قالت وهي تمدّ يديها إلى ربطة عنقه: «اهدأ».

ولو أنه لم يكن مشغولاً بتأملها لأعجب بمهارتها في فك الربطة.

وأدرك أن الهدوء الذي تأمره به هو خارج عن مقدرته، خصوصاً عندما ركعت على السرير بجانبه لتتمكن من فك أزرار قميصه. إحتكت أصابعها بجلده كما تخللت أظافرها بخفة شعر صدره الأسود الناعم، ما جعله يشعر بإثارة بالغة.

تمتم: «راشيل... مما تظنينني مصنوعاً؟».

فابتسمت ظافرة: «أعلم مما أنت مصنوع، من لحم وأعصاب ودم وعظام. كما يجب أن يكون الرجل بالضبط، ألا توافقني؟».

فأطلق زفرة معذبة: «ماذا تظنين أنك تفعلين؟».

رفعت حاجبيها الداكنين بينما أخذت عيناها العميقتا الزرقة تنظران

إليه بعنف وكأنها تقيّمه وقالت تتصنع البراءة: «ظننت أنني أساعدك في خلع ملابسك».

فتمتم: «هل شربت شيئاً؟».

أومأت: «شربت شاياً مثلجاً، هل أحضر لك منه؟».

حدق فيها غير مصدق: «هل أنت طبيعية؟».

- هذا ما أرجوه.

واستقامت، ثم تأملت نفسها لحظة قبل أن تضيف: «أظن ذلك، ألا تظن أنت هذا أيضاً؟».

لم يعرف ماذا يظن، وسألها بخشونة: «هل هذه لعبة تلعبينها؟ لأن عليّ أن أخبرك، إذا كانت كذلك، فسوف...».

- إنها ليست لعبة.

بدت مجروحة الكرامة الآن. وعندما نظر إليها غير مصدق، ألقت بنفسها بعيداً عنه وأخذت تتدحرج إلى جانب السرير: «فكرت فقط في أننا قد... نتواصل. أنت تعلم ما أعني، ولكن.... إذا كنت لا تريد أن...».

- لا أريد أن؟ طبعاً أريد ذلك يا راشيل.

كرر قولها هذا بشعور من الإحباط لا حد له.

واندفع واقفاً وأخذ يتخلص من قميصه وسترته اللذين ما زالا معلقين بذراعيه، ثم ألقاهما على الأرض، قبل أن يتقدّم منها قائلاً: «تعالي... أرجوك».

وأمسك بكاحلها يمنعها من القفز عن السرير بينما كان قلبه يخفق بسرعة في صدره. ورغم أنه توقع منها أن تعترض، إلا أنها لم تفعل بل تركته يسحبها إليه ثم سألته بصوت أجش: «هل هكذا أفضل؟».

فلم يستطع إلا أن يحدق إليها بعينين ذاهلتين غير مصدقتين.

تنفس بخشونة، من دون أن يقتنع تماماً بأنها تعني ما تقول. ورغم

أن عقله كان يخبره بأن يأخذ ما تقدمه من دون مزيد من الشرح، إلّا أن غريزته حذرته بأن ما من شيء يأتي بهذه البساطة.

قال بصوت غير واثق: «راشيل».

لكنها لم تشأ أن تجيب، فرفعت يدها ووضعت إصبعها على فمه، فأمسك بيدها ووضع راحتها على فمه ولثمها.

كانت كل ما يريده قبل أن عرقل طريقهما تلك الإجهاض المتكرر ومن ثم رفضها معاشرته بعد ذلك.

إنه لا ينكر تلهفه إلى العودة إليها مرة أخرى، حتى دقات قلبه المتسارعة لا يمكن أن تعيقه عن ذلك.

كان أكثر من راغب. وقالت بصوت أجش وهي تميل عليه بدعوة مغرية سافرة لم يستطع أن يقاومها: «أرجوك يا جاك».

ولم يكن بحاجة إلى دعوة أخرى، ورغم مرور سنتين على آخر مرة إلّا أنهما انسجما معاً تماماً.

ودار رأس جاك للمشاعر الفياضة وهمس لها بذلك. لم تكن حتى الآن قد وضعت ذراعيها حوله، لكنه وجدها الآن تحيط كتفيه بذراعيها بشكل متشنج وتضمه إليها.

٣ - أنا زوجك!

عندما نزل جاك في الصباح التالي إلى المطبخ، وجد راشيل والسيدة غراي هناك.

كان قد استيقظ فوجد نفسه وحيداً في ذلك السرير الكبير. وعندما لاحظ أن الناحية الأخرى من الفراش كانت ببرودة الثلج، الشتبه في أن زوجته نامت في مكان آخر. وكانت الشموع كلها قد سالت، فبدت غرفته باهتة من دون حياة، كأيّ غرفة بعد حفلة ما.

فتح النوافذ قبل أن يستحم، مصمماً على ألّا يحلل سبب غياب راشيل. وبما أنه لم يكن ينوي الذهاب إلى المكتب هذا النهار، ارتدى قميصاً أسود مقفلاً، وأقدم سروال جينز لديه، وترك الزر عند خصره مفتوحاً.

أدرك أنه يشعر بتحسن لم يشعر به منذ أشهر، وبراحة واسترخاء لم يعد يشعر بهما هذه الأيام.

كانت راشيل تقف وظهرها إلى الجدار وفي يدها إبريق قهوة، وهي تتحدث إلى مدبرة المنزل. وعلى عكسه، لم يكن يبدو عليها أي راحة أو استرخاء، رغم أنه رآها مذهلة. بدت أنيقة في بلوزة شفافة منقوشة بالورود وسروال رمادي فضفاض. كان شعرها الأشقر مسترسلاً على كتفيها، فتبادر إلى ذهنه كم أنّ شعرها هذا أثار مشاعره الليلة الماضية.

أسكت دخوله المرأتين، فقال: «صباح الخير، هل قطعت عليكما حديثكما؟».

- طبعاً لا، يا سيد ريوردان، أظنك تريد فطوراً، ماذا تريدني أن أقدم لك؟.

كانت مدبرة المنزل هي التي أجابت. ولاحظ جاك أن راشيل كانت تتجنب عينيه، فتمنى لو تنظر إليه. وبعد نظرة خاطفة نحوه، سارت لتقف أمام الحوض تاركة إياه يتحدث إلى مدبرة المنزل، بينما أخذت هي تحدق في الحديقة بجانب المنزل.

لم يكن غريباً منها أن تتجاهله، فقد اعتاد ذلك في السنتين الماضيتين. لكن، بعد الليلة الماضية، لم يفهم سبب تصرفها هذا. وعندما انشغلت مدبرة المنزل بإعداد الطعام، تقدّم ووقف بجانب زوجته، ثم قال بصوت أجش إلى درجة خطرة: «مرحباً... افتقدتك عندما استيقظت».

أخذت راشيل رشفة من قهوتها قبل أن تجيب من دون أن تنظر إليه: «أحقاً؟ أظنك اعتدت على العلاقة الحميمة صباحاً أيضاً».

لِمَ قالت هذا؟ وعندما حدق جاك فيها بعينين ضيقتين، أخذت راشيل تشتم نفسها. رباه! آخر ما تريده هو أن تفكر في معاشرة جاك، أو تقول ما يذكرها بمدى روعة العلاقة بينهما الليلة الماضية.

مجرد النظر إليه صعب عليها، فجاك رجل ذو وسامة غير عادية بحسب قول كارين. وحتى بلحيته النابتة منذ الليلة الماضية، كان عليها أن توافق كارين الرأي. ولا شك أن هذا يعود إلى أصله الإرلندي الذي منحه شعره الأسود الأشعث غالباً. أما عيناه الخضراوان فنقيتان صافيتان كبحيرة جبلية، وملامحه القوية أكثر خشونة من أن يُعتبر وسيماً حقاً.

كان يتحلى بعزيمة قوية جعلته يتشبث بأهدافه ويثير إعجاب أبيها.

وكان طويلاً ونحيلاً، يسير برشاقة وخفة الفهد ما منحه نوعاً من الإثارة التي لا يمكن إلّا لقلة من النساء أن يقاومنها.

لقد وقعا في حب بعضهما البعض، وكان حبهما حكاية اسطورية.

كانت تعتقد أنه لا شيء أو أحد يمكن أن يقف عائقاً بينهما لكنها أخطأت.

- هل فاتني شيء؟

كان في صوت جاك نبرة لم تفت راشيل. عليها أن تخبره فليس من الإنصاف أن تدعه يعتقد أنهما عادا إلى بعضهما البعض.

لكنها فكرت في أن ترجىء ذلك حالياً، فهي تعلم أن كلمة واحدة منها تجعلهما يمضيان بقية النهار في السرير.

لكن لا يمكنها أن تفعل ذلك. فجاك أشبه بالمخدر، والخلاص منه كان صعباً للغاية في المرة الأولى. وقالت: «أنا واثقة من أنك تعرف ما أعنيه. أعرف أنك كنت تنام مع... مع نساء أخريات، يا جاك، فأنت لم تكن تعيش كالرهبان طيلة الأشهر الماضية».

- يا إلهي!

جاء رد فعله عنيفاً فألقت راشيل نظرة قلقة من فوق كتفها لترى إن كانت مدبرة المنزل تصغي إليهما، لكن يبدو أن المرأة قررت أن تتركهما بمفردهما، وتابع جاك يقول: «ما هذا الكلام؟».

جفّ فم راشيل وقالت: «حسناً، إنها الحقيقة، أليس كذلك؟ ألم تكن تقابل امرأة أخرى؟».

فأجابها بحدة: «لقد قابلت الكثير من الناس. لِمَ هذا كله يا راشيل؟ وماذا عن الليلة الماضية؟ لماذا لم تحدثيني عن شعورك قبل أن...؟».

وسكت فجأة، وابتعد وهو يتخلل شعره بأصابعه المرتجفة، شاعراً فجأة بالغثيان والدوار. أترى هذا نتيجة الإثارة البالغة؟ أم إنه ترقّب الكابوس؟ وشعر بمرارة.

- جاك؟

بدا شيء من القلق على راشيل، وتساءل عما إذا تكهنت بأن يعاني من مشكلة. لكن آخر ما يريده هو أن تشعر نحوه بالأسف. فلديه بعض

الكرامة، وإن تنازل عنها نوعاً ما، الليلة الماضية.

- ابتعدي فقط، يا راشيل.

واتخذ قراراً مفاجئاً: «عليّ أن أذهب إلى المكتب، سأراك عندما أراك، صح؟».

لمست راشيل ذراعه فأجفل، وفكر في ما آلت إليه مشاعره نحوها. ليس عليها إلا أن تلمسه ليمسك بها ويأخذها بين ذراعيه مهما صرخت أو قاومت. ورغم اختلال توازنه، وحقيقة أنها استغلته الليلة الماضية إلّا أنه ما زال يرغب فيها، وهو أمر محزن.

- أنت لا تلبس ملابس المكتب.

أدرك جاك أن عليه أن يواجهها: «كنت جائعاً».

لكن التفكير في العجة التي عرضتها عليه مدبرة المنزل جعله يشعر بالغثيان.

وتوترت شفتا راشيل: «أظنك متلهف إلى رؤيتها، أليس كذلك؟».

رمش بعينيه لهذا الهجوم المفاجيء: «رؤيتها؟ عمّن تتحدثين بحق جهنم؟».

- تلك المرأة تعمل في مكتبك، أليس كذلك؟

وسكتت، وعندما لم يبدر عنه أيّ رد فعل، تابعت تقول: «كارين جونسون، لا تتظاهر بأنك نسيتها».

- وكيف علمت بأمرها بحق جهنم؟

لم تشأ أن تخبره بأن المرأة جاءت إلى المنزل: «عرفت».

- لا أصدق أنك تهتمين بي بما يكفي حتى تتحري عن حياتي.

- لا تصدق؟

آلمتها كلماته لكنها أخفت ذلك وتابعت: «أظن أننا لم نعد نعرف بعضنا جيداً».

واجهها وقلبه يخفق عالياً بسبب انزعاجه البالغ: «وذنب من هذا؟

بالله عليك يا راشيل، أنا لم أهجر فراشك!».

صرخت مدافعة عن نفسها: «أنت تعرف لما فعلت ذلك».

لكن جاك لم يكن في مزاج يحتمل التسوية، فقال بعنف: «كانوا أطفالي، أنا أيضاً».

شعر وكأنه سيموت إذا لم يحصل على بعض الهواء، فسار مترنحاً وخرج وهو يتمتم: «اذهبي إلى الجحيم، يا راشيل».

كان جاك جالساً في مكتبه في بلايموث، منهاراً على مكتبه، عندما رن الجرس الداخلي، فعبس، ثم جاهد ليستقيم ويجيب: «نعم؟».

- لديك مخابرة يا سيد ريوردان. أعرف أنك قلت إنك لا تريد أن يزعجك أحد لكنها زوجتك.

- زوجتي؟

تملكه الذهول، فلِمَ تتصل به راشيل بعد خصامهما هذا الصباح؟ لكنه متفائل دوماً، فقال: «صليني بها».

- نعم، يا سيد ريوردان.

ساد الصمت لحظة ثم سمع: «مرحباً، يا جاك».

أول ما خطر له هو أنّ هذه ليست راشيل. وتبددت حيويته ما جعله يقول بخشونة وفظاظة: «كارين».

لقد ميّز صوتها على الفور بعد ما قالته راشيل عنها. وكل ما شعر به الآن هو رغبة في أن يلوي عنقها لو كانت أمامه.

هتفت: «حبيبي... أنت تتذكرني إذن!».

تساءل كيف تتوقع منه أن ينساها، بعد أن دأبت على الاتصال به طيلة الأشهر الثلاثة الأخيرة، أيّ منذ طُردت من العمل. ولهذا كان غالباً ما يطلب من سكرتيرته أن تراقب اتصالاته.

تساءل لما لم يقفل السماعة في وجهها وقد فعل ذلك من قبل. وقال

بحدة: «لا تناديني بحبيبي، ما الذي تفعلينه؟ انتحال شخصية إنسان آخر جريمة يعاقب عليها القانون. إذا اتصلت بهذا الرقم مرة أخرى، فسأطلب القبض عليك. ثمة اسم لما تفعلينه يا كارين، وهو الإزعاج».

- لا تكن فظاً بهذا الشكل، جاك. لم تكن بهذه الطباع عندما كنا معاً.

- لم نكن قط معاً، يا كارين.

كان يدرك أنه قال هذا كله من قبل وتابع يقول: «لقد خرجنا معاً مرة واحدة. وصدقيني، كانت تلك غلطة مني».

ضحكت كارين: «أنت لا تعني ذلك يا جاك».

- بل أعنيه، وأنا أعني ما قلته حين قلت إنني سأتقدم بشكوى ضدك. وكان يجب أن أفعل هذا من قبل لكنني أظن أنني شعرت بالشفقة عليك.

- لا تشعر بالشفقة عليّ يا جاك.

تغيّرت لهجتها الآن، وشعر بأنه ضايقها. هذا حسن، لا بد أن تفهم الرسالة الآن. لكنها قالت بحدة: «بل أشعر بالشفقة على نفسك».

ثم عادت تقول بلهجة رقيقة: «نحن بحاجة لأن نكون معاً، أنت تعرف هذا. يمكنك أن تقاوم ذلك لكن هذا لن ينفعك».

فرغ صبره وصرخ: «بالله يا كارين! أكملي حياتك من دون التعرض إليّ».

كان على وشك وضع السماعة فأسرعت تقول وكأنها شعرت بذلك: «سنرزق بطفل يا جاك، وهذا هو سبب اتصالي بك. علينا أن نتفاهم».

أمضت راشيل الصباح في الستوديو الذي بناه لها جاك عند طرف الحديقة، بحيث يطل على الخليج الرائع. كان الخليج عند أسفل الصخور التي تكثر في هذا الجزء من الساحل، ويمكن الوصول إليه

www.rewity.com RAYAHEEN

بواسطة درجات حجرية حفرها في الصخر المالك السابق للأرض.

كانت راشيل رسامة موهوبة للغاية. وهي تستعمل الزيت والطبشور في لوحاتها، لكنها تفضل الألوان المائية. وفي السنوات الأخيرة أثبتت قدراتها برسم صور لكتب الأطفال لحساب ناشر لندني ميّز موهبتها.

لكنها وجدت صعوبة في التركيز اليوم، فقد بقيت تفكر في ما فعلته الليلة الماضية، متذكرة وجه جاك حين أخبرته بأنها على علم بعلاقته بكارين جونسون.

لم يعترف بأنه على علاقة مع كارين، لكنه لم ينكر ذلك. وبدلاً من ذلك، اتهمها بهجران سريره واضعة نهاية لعلاقتهما.

ومع ذلك، كان عليه أن يتفهم شعورها فقد حملت ثلاث مرات، وشعرت في المرات الثلاث بمعجزة الحياة في أحشائها.

وفي كل مرة كانت تخسر الطفل في الشهر الثالث. لا بأس، لعلها لم تفكر بما يكفي بشعور جاك، ربما كان تفكيرها منحصراً بمشاعرها الخاصة، وأحزانها الخاصة.

لكن جاك كان يبدو قوياً دوماً، منيعاً إزاء مصاعب الحياة. كان الابن الأكبر لعامل إرلندي هاجر مع زوجته إلى إنكلترا في الستينات، وقد اجتهد في دراسته ليتخرج مهندساً مدنياً. كان الفرد الوحيد في أسرته الذي ارتاد الجامعة، ورغم أن أخوته وأخواته قد استقروا الآن، إلّا أنه ساعدهم وساندهم لسنوات حتى عندما كان في الجامعة.

لم تستطع إلا أن تتساءل عما إذا تسرعت حين عزت تصرفه إلى خيبة الأمل، خيبة الأمل لأنه لم يصبح أباً، وخيبة الأمل منها كامرأة. اعتقدت أنه ظنها تخلت عنه... ليس مرة واحدة بل ثلاث مرات. وعندما رفضت أن تعاشره مجدداً، مال إلى امرأة أخرى.

بدا كل شيء غاية في البساطة. لم تكن تصدّق أن رجلاً مثل جاك يمكن أن يعيش من دون امرأة، وواقع أن اكتشافها لعلاقته مع كارين

استغرق ثمانية عشر شهراً لم يطمئنها. كانت واثقة من أن كارين ليست الأولى، لكنها الوحيدة التي حملت منه.

حان موعد الغداء، فتركت راشيل كل محاولة للرسم وعادت إلى البيت. عليها أن تشرح لمدبرة المنزل لما كانت الشموع ذائبة في غرفة نومها ذلك الصباح، ولما لم يبدو على سرير جاك وكأن أحداً لم ينم فيه.

على أيّ حال، لم تكن مدبرة المنزل هنا فهي تذهب عادة للتسوّق صباح الخميس، كما تذكرت راشيل التي وجدت صعوبة في التركيز على الأمور المعتادة. زيارة كارين جونسون لها أمس وسلوكها المخجل تركاها في حالة من الاضطراب. تعلم أنها أغرت زوجها، لكنها لم تكن تعرف لماذا.

بل ثمة سبب واضح، أرادت أن تحمل. ولكن لِمَ هذا؟ لِمَ اعتقدت أن نتيجة حملها ستكون مختلفة هذه المرة عن المرات السابقة؟ ألم تكن بهذا، تجلب وجع القلب لنفسها؟

هزت رأسها. كانت تعلم فقط أن عليها أن تمنع تلك المرأة من أن تسرق زوجها منها، فهي ما زالت تحبه، رغم عدم نيتها في أن تخبره بذلك. لكن إذا حملت بطفله، فهذا سيثبت لكارين أنهما يعيشان كزوج وزوجة ما يمنحها الأفضلية. على أيّ حال، هي ما زالت زوجته.

أدهشها أن ترى أن مدبرة المنزل تركت غداءً بارداً لشخصين في الغرفة الصباحية. حساء الهليون السلطة التي تحبها راشيل، وحلوى الفريز. وتساءلت راشيل عما إذا كانت مدبرة المنزل تريد منها أن تدعو لوسي على الغداء. وكانت لوسي روباردز، صديقتها المفضلة، تسكن على بعد نصف ميل. وبدا لها هذا غير محتمل لأن راشيل لم تذكر لها أنها دعت أحداً، كما أن جاك لا يأتي إلى البيت لتناول غداء أو حتى عشاء، إذ نادراً ما يكون لديهما ما يتحدثان عنه.

أترى جاك أخبر مدبرة المنزل أنه سيعود إلى البيت للغداء؟

بدا هذا بعيد الاحتمال، بعد ما حصل بينهما هذا الصباح. كانت شبه واثقة من أنها لن تراه اليوم مرة أخرى. لكن هذا لم يكن ذنب جاك وحده، فهي تنام باكراً هذه الأيام للتهرب من الأسئلة التي يثيرها غياب جاك.

ارتجفت حين سمعت صوت هدير سيارة يقترب من المنزل. قد تكون مدبرة المنزل طبعاً، لكنها استبعدت ذلك، فسيارة مدبرة المنزل من نوع (فورد) وليس (آستون مارتين)، وهذا صوت هذه السيارة الرائعة حتماً.

توترت أعصابها بشكل غريزي. لا حاجة لكل هذا التوتر فلعل جاك نسي شيئاً ما، وقد يدخل إلى البيت ويخرج منه حتى من دون أن تراه.

سمعت باب السيارة ينصفق، فشعرت بفمها يجفّ بالرغم من تطمينها لنفسها. أخذت جرعة أخرى من الصودا ثم كادت تختنق عندما ظهر جاك عند عتبة الباب.

كان عليها أن تغلق الباب. وما زالت تعتقد أنه لن يبقى لكن جاك كان لديه أفكار أخرى.

قال بأدب ما أدهشها بعد الطريقة التي ترك بها البيت في الصباح: «مرحباً، لقد جئت في الوقت المناسب».

ابتلعت ريقها وأشارت إلى المائدة المستديرة الجاهزة للغداء، قائلة: «هل هذا... من أجلك؟».

قال جاك وهو يخلع سترته ويلقي بها على ظهر أحد الكراسي: «بل من أجلنا، نحن الاثنين».

وفك زر قميصه وأرخى ربطة عنقه الفضية اللون.

حدثت نفسها بأن عليها ألّا تدعه يتصرف وكأن شيئاً لم يحدث، فهما يعرفان أن هذا غير صحيح وأن كارين جونسون جزء من حياتهما الآن.

وعندما وقف جاك ينظر إليها من تحت أهدابه التي تفتن النساء، تذكرت بشكل لا إرادي القلق الذي ساورها بشأنه منذ فترة. ثمة شيء غير عادي فيه اليوم، لم تعرف ما هو لكنه يزعجها.

قال: «هل نجلس؟».

وبالرغم من أفكارها، هزت كتفيها: «إذا شئت».

انتظر حتى جلست ثم جلس. وتساءل عما إذا كانت تظنه لم يلاحظ أنها تجنبت الجلوس قربه. لكنه لم يعلّق على الموضوع فيكفي أنها لا تعامله بجفاء... حتى الآن، على أيّ حال. لكن ما من شك أن هذا سيحدث عندما يطلعها على اتصال كارين الهاتفي.

تساءلت راشيل عن سبب هذه الخطوط المتوترة على جانبي فمه. مهما بذل من جهد الليلة الماضية، فقد كان متلهفاً لإرضاء رغبته بقدرها هي، واحمر وجهها لهذه الفكرة.

عندما أدركت أنه ينتظر منها أن تسكب لنفسها شيئاً من الحساء قبل أن يسكب بدوره، رفعت الغطاء وسكبت القليل في صحنها، ثم أزاحت الإناء نحوه. ومن المقدار القليل الذي سكبه لنفسه، أدركت أن شهيته غير جيدة كشهيتها وأخذت تتساءل مرة أخرى عن السبب، إذ بدا الليلة الماضية كعادته تماماً. لكنها، حينذاك، كانت مصممة على بلوغ أهدافها وليس أهدافه، كما أخذت تؤكد لنفسها عابسة.

قد يكون لمظهره المنهك صلة بشعوره بالذنب.

- هل نمت جيداً؟

أدهشتها كلماته، لكنها أجابت: «ليس تماماً».

لم تكن صادقة تماماً، فبعد أن استغرق في النوم أسرعت إلى إحدى غرف الضيوف. ولا بد أنها كانت مرهقة لأنها فقدت إحساسها بما حولها حتى تدفقت أشعة الشمس من النوافذ، وأدركت ما الذي فعلته. بعدئذ، استحال عليها النوم.

رفع جاك حاجبيه غير مصدق ثم قال وهو يضع شوكته جانباً: «هذا مخجل، فقد نمت أنا كالميت».

هذا اختيار غير موفق للكلمات نظراً لحالته الصحية وتمنى ألّا تكون هذه نبؤة. لكنها لم تكن تدرك كم ترتبط كلماته هذه بواقعه.

وسألته بازدراء: «ولِمَ لا يدهشني هذا؟ أظن أنّ ذلك ناجم عن عدم وجود راحة ضمير».

وجاء رده سريعاً وحاداً: «أنا ضميري مرتاح، وأنت؟».

فوجئت بسؤاله: «أنا؟ ولماذا لا يكون ضميري مرتاحاً؟».

- حسناً، دعيني أرى...

واستند إلى الخلف في كرسيه، لكن عينيه لم تحيدا عن وجهها المتوهج: «ألا تظنين أن تمثيلية الليلة الماضية كانت غير أخلاقية ولو بمقدار ضئيل؟».

بللت راشيل شفتيها الجافتين: «أنت زوجي، ما هي الناحية غير الأخلاقية في ذلك؟».

أطلق جاك ضحكة قصيرة: «يا طفلتي، أنت لا تتوقعين مني حقاً أن أجيب عن هذا السؤال؟».

- لا تخاطبني بكلمة (طفلة).

نظر إليها ببراءة: «ولِمَ لا؟ فكما قلت لتوك، أنا زوجك».

دفعت شعرها إلى الخلف ثم وقفت: «إذا سمحت...».

نهض هو أيضاً وسدّ عليها الطريق قائلاً: «لن أسمح لك، دعينا ننتهي أولاً».

وأدرك أنه قد ينسف أي فرصة لإرضائها بتصرفه بهذه الطريقة، لكنه لم يستطع أن يدعها تذهب بهذا الشكل.

- لا أريد أن آكل أكثر.

- لم أكن أتحدث عن الطعام.

رفعت إليه نظرها غاضبة، فتكهن أنها ما زالت تنزعج من مسألة أنه يفوقها طولاً. وقالت: «لا يمكنك أن تبقيني هنا».

- بل أظن أنّ بإمكاني ذلك.

وأخذ يقطع عليها طريقها وأفلح في منعها من أن تتجاوزه ثم قال: «لماذا لا تعودين للجلوس لكي نتفاهم؟».

٤ ـ كانت غلطة

- لا أريد التحدث إليك، كما أنني لا أريد أن أجلس. أريد أن أذهب إلى غرفتي.

كانت عابسة وشعر بأنها محبطة. كان عطر جسدها يفوح كالأمواج. بعد الليلة الماضية، كل ما بإمكانه أن يفعله أن يحاول رؤية الأمور بأبعادها الصحيحة. وأجاب: «هذا يناسبني، سآتي معك».

- لا، لن تأتي معي!

- لماذا؟ كان لا بأس في ذلك الليلة الماضية.

- الليلة الماضية كانت غلطة.

تظاهر بأنه يفكر في ذلك، ثم قال: «كل ذلك المشهد إذن، من رائحة البخور، إلى الشموع العطرة، وإلى قلة ملابسك كل هذا كان غلطة؟».

- نعم.

- لماذا لا أستطيع أن أصدقك؟

قالت مقترحة: «لأنك من الغطرسة بحيث لا تفكر في أي شيء آخر».

فتنهد: «أتعنين أن هذا كان من أجل رجل آخر؟».

خطر له هذا للتو، ولم يعجبه، لكنه شعر بالارتياح وهو يراها متلهفة للدفاع عن نفسها إذ قالت بعنف: «كلا، أنا لا أعاشر أياً كان».

- أتعنين أنني أفعل هذا؟

- إذا رأيت ذلك مناسباً.

فقال بحدة: «لا، هذا لا يناسبني».

وتملكه الغضب لهذا الإتهام غير العادل ثم هدّأ نفسه وتابع يقول: «إذن، كل هذا كان من أجلي؟».

تململت بضيق: «يمكنك أن تظن ذلك إذا شئت».

- وماذا غير ذلك يُفترض بي أن أظن؟

ورفع يده يزيح خصلة من شعرها الحريري عن وجهها ويضعها خلف أذنها، ورغم إجفالها الغريزي، تابع يقول: «لم أكن أعلم أنك بحاجة إلى الجنس إلى هذا الحد».

حبست أنفاسها: «لست كذلك».

مرّر أصابعه من أذنها حتى عنقها الناعم وقال: «لا يمكنك أن تنكري أنك كنت تريدينني الليلة الماضية».

رفعت رأسها: «كنت أريد... رجلاً، نعم».

فهز رأسه غير مصدّق.

لكنه بالرغم مما قالته، لم يكن يظن أنها ستدعه يفعل ذلك، ولم يشأ أن يدمّر هذه العلاقة الضئيلة التي بينهما بتسريع الأمور.

قال بعد لحظة: «اسمعي، علينا أن نتفاهم. لا تتوقعي مني أن أنسى ما حدث، ثم نستمر كما كنا قبلاً».

- لِمَ لا؟

- لِمَ لا؟!

ونظر إليها بإحباط، ثم قال: «لأن ما حدث بيننا كان جيداً وأريد أن أكرره».

- كلا.

رفع يده فتراجعت خطوة بشكل غريزي. لكن كل ما فعله هو أنه تخلل شعره بأصابعه غاضباً، وسألها: «ماذا تريدين الآن؟ هل أنتظر

المرة التالية التي تشعرين فيها بالرغبة في الاستمتاع بي، أم أن لي رأي في ذلك الموضوع؟».

فاحمرّ وجهها: «لا تستعمل تلك الكلمة».

- أي كلمة؟ (الاستمتاع)؟ ولكن هذا ما حصل، أليس كذلك؟

- كلا!

- نعم.

وأغمض عينيه لحظة يحاول التحكم في نفسه: «عليّ أن أكون أذكى إذا اعتبرت هذا شيئاً آخر».

ارتجفت وقالت: «حسناً... ما الذي توقعته؟».

فعبس: «وماذا يعني هذا بالضبط؟».

تنفست بعمق: «ألم تنسى الآنسة جونسون؟ بالمناسبة، ماذا تعمل الآن؟ كسكرتيرتك؟ مساعدتك الخاصة؟ نعم. السكرتيرة الخاصة أفضل لتغطية الأمر، إنها...».

فقاطعها: «كارين لم تعد تعمل في الشركة».

نظرت راشيل إليه غير مصدقة: «منذ متى؟».

- منذ طردها جورج توماس.

لم يشأ جاك أن يعالج هذا الموضوع في هذه اللحظة، لكنه يعلم أن تجنبه مستحيل في هذه الظروف: «ماذا أستطيع أن أقول؟ لم تكن جيدة في عملها، فاضطررنا لطردها».

- وكيف إذن...

ابتدأت راشيل تتساءل كيف عرفت كارين بمكان جاك وما يفعله، لكنها ما لبثت أن توقفت عن ذلك. يا للحماقة! ألّا تعمل كارين في شركة «فوكسي»، لا يعني أن جاك لم يعد يراها».

وكان جاك قد انتبه إلى سؤالها الذي لم تكمله، فسألها: «كيف إذن ماذا؟».

أمضت ثوان في التفتيش عبثاً عن سؤال آخر تطرحه، وقالت أخيراً: «أعني كيف تدبّرت أمرها من دون إفادة عمل؟».

رأت التردد على ملامحه، فسارعت تقول: «حسناً. أنت كتبت لها واحدة، ماذا قلت في تلك الشهادة يا جاك؟ (إنها غير كفوءة في العمل لكنها تعوض عن ذلك في السرير)؟».

تأوه: «يا إلهي... لا يمكنك أن تدعي هذا الأمر، أليس كذلك؟ أنت لا تريدينني، لكنك ما زلت تظنين أن لك الحق في أن تسيطري على حياتي».

احمر وجهها: «كلا».

فضحك بخشونة: «بل هذا صحيح. أخبريني ما المنطق في هذا؟».

- أنت لا تفهم...

حملق فيها: «هذا صحيح. منذ سنتين جعلتيني أدرك أنك لا تريدينني في سريرك. وأمضيت أشهراً بعد آخر إجهاض لك لا تتحدثين إليّ».

- كنت لا أزال أتألم.

- أنا أيضاً، لكنني أدركت أنني عاجز عن تغيير الواقع.

- أنت تعلم أن الذنب ليس ذنبك.

تمتمت بذلك لكنه سمعها، فزمجر قائلاً: «بالله عليك يا راشيل، إنه ليس ذنب أحد. أنا لم أوجه إليك اللوم أبداً، أليس كذلك؟».

- هذا صحيح...

- فلماذا تلومينني إذن؟ هذا ما كانت تعنيه تصرفاتك. لقد عاقبتني لأنني لم أستطع أن أرد يدي عنك.

- لم يكن الأمر كذلك.

- كيف كان إذن؟

وشعر بالتوتر يتملكه، فسحب كرسياً بعيداً عن المائدة وجلس كيلا

www.rewity.com RAHEEN

يسقط على الأرض: «أخبريني، أخبريني لماذا قررت البقاء معي في حين أنك غير سعيدة بالوضع كما يبدو؟ منذ سنتين ونحن نتعامل كغريبين، لا ننطق إلا بالكلمة الضرورية، ولا نخرج معاً إلا لحفظ المظاهر. إذا كنت تريدين أن تتركيني فعليك أن تقولي ذلك. لماذا لم تطلبي الطلاق بحق الجحيم؟».

- ولماذا لم تطلب أنت الطلاق؟

فزفر قائلاً: «أنا؟ لم أكن أريد الطلاق».

- لِمَ لا؟ هل لأنك تعلم أنك إذا تركتني فلن يجعلك أبي وريثه؟

قال ذاهلاً: «كلا!».

أن يُتهم بأنه على علاقة بامرأة أخرى شيء، وأن يكون شرفه وأخلاقه موضع الشك شيء مختلف تماماً. وتابع يقول: «بالله عليك يا راشيل، من أي جاءت هذه التهمة؟ إذا كنت تظنين أنني تزوجتك لكي أضع يدي على شركة أبيك...».

قالت بصوت خافت: «لا، لا أظن هذا، هذا فقط ما قاله لي البعض».

وكانت فعلاً لا تظن ذلك بالرغم مما قالته. وكلام كارين لم يقنعها رغم ما عرفته عن زوجها.

- من هو ذلك الشخص؟

ترددت، وأخذت تعبث بربطة بلوزتها، ثم قالت بسرعة: «كارين جونسون».

- ماذا؟

وتملكته الحيرة. لم يصدق ذلك، لكن الدوار الذي كان يتملكه من وقت لآخر في الأسابيع الماضية، والذي عاوده إليه الآن، أقنعه بأنها صادقة. لقد اتصلت راشيل، بشكل ما، بتلك المرأة، ولكن كيف حدث هذا؟

قالت مجيبة عن السؤال الذي أراد أن يوجهه إليها: «إنها... إنها جاءت تزورني».

ونظرت إليه بشيء من الفضول قبل أن تضيف: «أظنك لم تعرف شيئاً عن ذلك؟».

قال باختصار وهو يقف: «لا».

وسار في الغرفة مترنحاً، حتى استعاد توازنه. إذ لم يستطع أن يبقى جالساً ينظر إليها وهو يطرف بأجفانه، عالماً أنها ستكتشف، عاجلاً أم آجلاً، أنه يكافح لئلا يفقد وعيه.

خلف النوافذ المستطيلة، بدا المحيط أعمق زرقة مما رآه قط. وكانت الأمواج المتوجّة بالبياض تتدافع نحو الشاطىء لتتكسر على الصخور. رأى البحر لا يتوقف عن الحركة وهو، بعكس الناس، لا يتغيّر أبداً. لكن البحر حر، نزيه، وهو ليس مريضاً نفسياً مثل كارين، ليحدث المشاكل في حياته.

نظر من فوق كتفه، فرأى راشيل واقفة حيث تركها، وحوّلت نظرها بعيداً فتساءل عما إذا كانت تظن أنه مستاء لأن أمره انكشف؟.

سألها عندما أصبح قادراً على تركيب جملة: «هل قلت إنها جاءت إلى هنا؟».

وأومأت: «نعم».

- متى؟

بدا على راشيل الضيق، وخطر له سبب ذلك قبل أن تجيبه بثوانٍ: «أمس».

واستدارت عائدة إلى المائدة محاولة أن تجمع الأطباق الوسخة. وتنحنحت ثم قالت: «هل ستتناول بعض السلطة؟».

عاوده الدوار لكن غضبه منح القوة لساقيه اللتين شعر بهما ضعيفتين منذ لحظات. عاد إلى المائدة بخطوات واسعة وأمسك بكتفها يديرها

لتواجهه، غير مهتم بنظرة الخشية في عينيها، وهتف: «أمس؟ جاءت كارين إلى هنا أمس؟».

وكان قلبه يخفق بشدة لكنه تجاهله وضرب جبينه بكفه: «هذا إذن سبب الاستعراض أمس؟».

- ليس بالضرورة. أنت زوجي، فلماذا لا أعاشرك إذا رغبت في ذلك؟

هز رأسه لا يريد أن يسترسل في الحديث أكثر وقال يحثّها بخشونة: «استمري، ماذا قالت؟».

انتصبت واقفة: «ماذا تظنها قالت؟».

تنفس بإحباط: «لا تفعلي هذا يا راشيل، مزاجي لا يحتمل المزاح».

فقالت ساخرة: «لقد أفزعتني».

وسرعان ما شهقت ألماً وهو يلوي معصمها: «لقد آلمتني».

- صدقيني، هذا لا يقارن بما أرغب في أن أفعله بك. هيا، تكلمي!

- ما دمت مهتماً إلى هذا الحد، فلما لا تسألها هي؟

- ربما سأفعل هذا. لكنني، حالياً، أسألك أنت.

ومن دون إنذار، وضع معصمها خلف ظهرها وجرها إليه. وفقدت توازنها فلم تستطع أن تمنع نفسها من أن تتشبث به، وشعرت بالحرارة تحت قميصه حين احتكت عضلات صدره القوية بصدرها.

ذهلت لحظة لرد فعلها، غير قادرة على الرد خوفاً من أن يكتشف مدى اضطرابها. لقد أقنعها هذا بأن الليلة الماضية كانت غلطة فادحة. لقد اعتقدت بغباء أن بإمكانها إغراء جاك من دون أن تتورط مشاعرها مرة أخرى، لكنها كانت مخطئة. وتلهفت لإلقاء نفسها بين ذراعيه، والإستسلام إلى ذلك الخدر الذي عرفته الليلة الماضية.

- راشيل!

أيقظها صوته الخشن من الحفرة الشهوانية التي تحفرها لنفسها، وحاولت أن تركز على سؤاله. لكن التركيز كان صعباً عليها وأنفاسه الدافئة تلفح وجهها، ورائحة العطر الرجولي التي تفوح من بشرته الحارة ترتفع لتملأ رئتيها.

ومن دون وعي منها بسطت راحتها على صدره. وشعرت بخفقات قلبه سريعة تحت أصابعها. وشعرت بأنه يتذكر الليلة الماضية هو أيضاً.

تمتمت غير عالمة حقاً ماذا تريد: «جاك...»

كانت عاجزة عن إبعاد نبرة الحنين عن صوتها وشتم جاك قال: «لا تستسلمي لهذه المشاعر، يا راشيل».

حذّرها لكن مشاعره التهبت هو الآخر.

سيقبلها. أخذت تفكر في ذلك وقد أعمتها مشاعرها عن كل شيء. ولِمَ لا؟ لِمَ لا تأخذ ما تريد من دون اعتبار للظروف؟ الآخرون يفعلون هذا، فلِمَ لا تفعله هي؟

- راشيل!

ومرة أخرى، نبهها بشكل غير مرغوب فيه إلى ما تفعله.. وأدركت أنها كانت مخطئة حين ظنت أنه يشعر بالإثارة نفسها التي تشعر هي بها. كان غاضباً ومحبطاً، وهذا كل ما في الأمر.

قالت بحدة: «دعني، يا جاك».

وكأنها لم تكن تكد تتوسل إليه منذ لحظات كي يضمها إليه، لكنه لم يُخدع بهذا وقال بخشونة: «ليس قبل أن تخبريني بما قالت. أريد ان أعرف، هل قالت إننا كنا على علاقة؟».

تنهدت راشيل وقالت مستسلمة: «أنت تعلم أنها فعلت هذا، ولكن لا تقلق. لم يكن هذا خبراً جديداً بالنسبة إليّ، فأنا أعرف سرّك القذر منذ بعض الوقت».

نظر جاك إليها غير مصدق: «ماذا تعنين بقولك إنك كنت تعلمين؟».

تملكها التعب فداست على إصبع قدمه، وابتعدت عنه: «أنا لست حمقاء تماماً، يا جاك».

وتابعت فيما أجفل ألماً: «أنت لست بالمهارة التي تظنها».

ضاقت عيناه: «وماذا يعني هذا بالضبط؟».

- الشقة التي استأجرتها في بلايموث وقلت لي إنها لاستضافة الزبائن. أعلم أنك أخذتها إلى هناك.

شعر بمعدته تعتصر. لقد أخذ كارين فعلاً إلى تلك الشقة التي تقوم على ضفاف النهر، أثناء عملها مع جورج توماس. كانت الشركة قد استأجرت لتوّها الشقة المفروشة، واحتاج جاك لمن يقوم بجرد محتوياتها وليسجّل ما تحتاجه لتصبح صالحة للسكن.

كان جورج قد اختار كارين للقيام بهذا العمل فأخذها جاك إلى الشقة بسيارته وقدمها إلى بواب المبنى، ليعلم أن وجودها قانوني، ثم جال بها في أنحاء الشقة، وهذا كل ما حصل.

وبعد أسابيع، كان من الحماقة بحيث دعاها لتناول العشاء معه إذ كان يشعر بالإكتئاب. وهو لم يأخذها حينذاك إلى الشقة. ولكن الله يعلم ما حدّثت به راشيل. وعندما تذكر ما حدث تلك الأمسية شعر بالبرد. لقد منحها ما يمكنها أن تتحدث عنه كذباً.

قال وهو يعلم أنها لن تصدقه: «لم آخذ إلى الشقة أي امرأة. إن ملكية الشقة مشتركة، اسألي جورج توماس إذا كنت لا تصدقينني».

- أنت إذن لم تمكث هناك أبداً؟

- لا بأس، لقد مكثت هناك في مناسبتين، لكنني كنت وحدي.

فهزت رأسها: «ما دمت تقول هذا».

- نعم، أنا أقول هذا، تباً!

شعر بدوار فكافح ليشعر بالثبات وهو يتابع: «بالله عليك، يا

راشيل، مهما كان ما أخبرتك به تلك المرأة فاعلمي أني لم أكن على علاقة بها».

- كيف تفسّر إذن أنها ستنجب منك طفلاً؟

- ماذا تقولين؟

- أظنك سمعتني.

وبالرغم من هذا الإتهام، لم تستطع أن تواجه عينيه. ومرة أخرى تحوّلت إلى المائدة لتجمع الأطباق، ثم تابعت عندما ابتدأ الصمت يؤثر في أعصابها: «أريدك حقاً أن تأكل شيئاً يا جاك. لقد تعبت مدبرة المنزل في إعداد هذا الغداء من أجلك، وستصاب بخيبة أمل إذا...».

- فلتذهب مدبرة المنزل إلى جهنم.

ووقف يحدق فيها لثوان، يراقبها وهي تتظاهر بتفحص الطعام. حاول أن يبقى هادئاً، لكن ذهنه كان أسرع من نبضه في هذا الظرف.

وعلى أي حال، لم يشعر بالصدمة حين أخبرته راشيل بأن كارين حامل بطفل منه فهذا ليس صحيحاً، لكن تصرف راشيل هو الذي جعله يشعر بالضعف والغثيان. لقد أدرك أن راشيل لم تلجأ إلى إغوائه لأنها ترغب فيه أو حتى لأنها متلهفة إلى رجل. وحالما أدى دوره في إرضائها، وجدت مكاناً آخر تمضي الليل فيه.

- لماذا تنظر إلي بهذا الشكل؟

لا بد أن التغير الكامل في مشاعره بان على وجهه. الشعور بالاشمئزاز وبالخيانة لأنها استغلته ثم نبذته بدا عليه لأنها تركت ما كانت تقوم به وعادت تواجهه.

ولوى شفتيه: «هل أنت بحاجة إلى سؤال؟».

- ماذا؟ ألم يخطر في بالك أن كارين ستخبرني أنها حامل بطفل منك؟ آه، نعم. كانت فخورة بذلك للغاية. كيف أمكنك ذلك يا جاك؟ كيف أمكنك أن تدعها تأتي إلى هنا وتطلب مني أن أمنحك الطلاق؟.

فقال بحدة: «ذلك كذب وأنت تعرفين ذلك. لو أن كارين حامل، فلا صلة لي بالأمر. ولكن لا تظني أنني لا أعرف ما تحاولين أن تقومي به. أنت تحاولين أن تحوّلي أفكاري عما فعلته الليلة الماضية، أنت لم تقومي بإغرائي لأنك تريدينني».

حاولت أن تقاطعه لكنه تابع يقول بإصرار: «أنت صدقت أكاذيب تلك المرأة وأردت أن تعطيني درساً. وإذا حملت فأنت مستعدة للمجازفة لتحصلي على النفوذ واليد العليا فقط».

٥ - هل ما زالت تحبه؟

عندما وصل جاك إلى عمله، وجد على مكتبه مغلفاً أصفر يحمل عبارة (سري وخاص).

هو يسلّم بريده عادة إلى مساعدته الشخصية، فتفتح ميرنا الرسائل وتعالج ما يمكنها أن تعالجه، ثم تضع البقية جانباً ليقرأها بنفسه.

تفحص المغلف لحظات عدة قبل أن يمسك به، وقد توقّع ما يحويه. لم يستطع أن يمنع تسارع نبضه المفاجىء لكنه أخذ يطمئن نفسه بأن كل شيء على ما يرام. فإخصائي القلب الذي زاره منذ ثلاثة أسابيع رأى أن الإرهاق في العمل، والضغط النفسي، وأسلوب حياته غير الصحي، يمكن أن تسبب الأعراض التي يعاني منها جاك. ولكن هذا الكلام لم يساعده على النوم ليلاً أو يقنعه بأن الفحوصات التي طلبها الطبيب لم تكن إلا للاطمئنان أكثر.

مضى أكثر من أسبوع على إدخاله إلى مستشفى خاص في بلايموث حيث خضع لفحوصات عدة لقلبه. وتلهف لايجاد شخص يمكنه أن يفضي إليه بقلقه. ولكن بعد ذلك الشجار بينه وبين راشيل بعد ظهر اليوم، لم يتحدث أحدهما إلى الآخر. كان يعلم أنها لن تعتذر، لأنها لا تظن أنها أخطأت. ولم ير هو لما عليه أن يتوسّل إليها لكي تقتنع بأن كارين جونسون لا تعني شيئاً بالنسبة إليه. تباً! أي فاسق تظنه؟

كانا في نهاية طريق مسدود، وهو وضع سيء نظراً لانشغاله بصحته. لقد كره الشعور بعدم قدرته على التحكم بجسده، واشمأز بشكل جنوني

لأنه منح الأطباء الحق في توجيه حياته. وربما كان ليصفح عن راشيل لو أنه لا يشعر بكل هذا الخوف.

وعندما وجد أن لا فائدة من تأخير ما لا مناص منه التقط الغلاف وفتحه بسكين فضي هو هدية من راشيل، ثم أخرج التقرير الطبي.

كان التقرير من مستشفى خاص لأمراض النساء ونتيجة الفحص حمل.

شتم جاك وهو يحدق في التقرير أمامه غير مصدق. يقول التقرير إنّ فحصاً أجري منذ ثلاثة أيام للآنسة كارين جونسون وجاءت النتيجة إيجابية، وقد دخل الحمل أسبوعه السادس عشر.

ستة عشر اسبوعاً!

ألقى بالتقرير من يده وكأنه أحرق أصابعه، ثم عاد فالتقطه وأخذ يبحث عن عنوان أو رقم هاتف. بدا واضحاً أن كارين أثبتت كلامها بشكل قانوني.

لكن ليس طفله!

أطلق جاك زفرة مرتجفة، وعاوده الدوار وهو يحاول أن يفهم ماذا تريد كارين من وراء هذا كله. تدمير زواجه بكل تأكيد! لكنها تعلم أنها لا تستطيع أن تفلت من العقاب.

لم تكن بينهما أي علاقة، وهو لم ينم معها ولو مرة واحدة. السبب الوحيد الذي منعه من أن يتقدّم بشكوى إلى السلطة بتهمة الازعاج، هو أنه يشعر نحوها بشيء من عرفان الجميل.

ففي الليلة التي دعاها فيها على العشاء شعر بأولى نوبات الدوار. لكن هل لإغمائه على عتبة بابها أي علاقة بذلك؟ وبقي بعد ذلك بفترة يعاني من أعراض غريبة... صعوبة في التنفس وتسارع في خفقات القلب رده إلى إرهاقه من العمل. فمنذ أن توقفا هو وراشيل عن القيام بأي نشاط معاً، أخذ يمضي مزيداً من الوقت في المكتب. ولم يعد

يمارس الرياضة إلّا نادراً، كما أنه أخذ يتناول طعاماً غير صحي. لقد عاش حياة يسودها التوتر.

لكن إصابته بالإغماء على درجات منزل كارين نبهته إلى حالته. فقد استيقظ ليجد نفسه مستلقياً على أريكتها بعد أن خُلعت عنه سترته، وأُرخيت ربطة عنقه، ما جعله يشعر بأنه أكبر أحمق في العالم.

ومنذ ذلك الحين أصبح الخوف رفيقه الدائم، هذا الخوف الذي يخفيه عمن حوله.

وأصرت كارين على أن يمضي الليلة على أريكتها، إذ لن يتمكّن من قيادة السيارة. وبما أنه لم يستطع أن يقول لها الحقيقة، لم يرفض عرضها. لكنه أخذ الآن يتساءل عما إذا كان عرضها ذاك بريئاً. هل سبق وخططت لهذا المشهد؟ هل تكهنت بأنه من غير المحتمل أن يدعوها للخروج مرة أخرى؟

جفف فمه فتوجّه إلى الحمام ليملأ كأساً من الماء. أخذ يحدق في صورته في المرآة فوق الحوض ولم يستغرب الإنهاك البادي على ملامحه. لكن عندما وضع سماعة الهاتف منذ أسبوعين بعد ادعاء كارين الفاحش لم يتوقع قط أن تحاول القيام بشيء كهذا.

لم تكن حاملاً. منذ أجرت راشيل الاختبار وهي عاجزة عن التفكير في أي شيء آخر.

كانت مقتنعة بأنها حامل بعد الليلة التي أمضتها مع جاك وأصبحت واثقة من أن ادعاءها أمام كارين أنها حامل لم يعد كذباً. كان هذا يحدث دوماً، وهو أحد الأسباب التي جعلتها تهجر فراش جاك عندما حاول استعادة العلاقة الطبيعية بينهما بعد آخر إجهاض. أما الأسباب الأخرى فهي شعورها بالدمار، والنقص في أنوثتها، وعدم الرغبة في القيام بما قد يجعلها تغامر بالحمل مرة أخرى.

www.rewity.com KAYAHEEN

لكنها غامرت الآن من دون أن تنجح. حسناً، لن تنجح بعد ليلة واحدة.

ولكن هل ستجازف حقاً بنبذ جاك لها فقط لتثبت صحة ادعائها؟ لقد سبق لجاك أن اكتشف محاولتها واحتقرها لذلك.

ماذا عليها أن تفعل الآن؟ التركيز على مسألة أخرى أصبح غاية في الصعوبة. وبما أنّ جاك لم يتطرق إلى الموضوع مرة أخرى فهذا يثبت صحة شكوكها السابقة، وهي أنه متورط مع المرأة الأخرى.

كانت في الاستديو حيث تمضي وقتها عادة، محاولة أن تضع رسوماً لآخر عمل لها (يوم بنجبي الكبير). إنها ترسم لكتب «بخبي» منذ عامين أيّ منذ بدأ المؤلف في كتابتها. ولطالما وجدت في العمل ملاذاً من مشاكلها، لكن ليس اليوم.

تناهى إليها صوت نبهها إلى أنها لم تعد وحدها، فالتفتت متوقعة أن تجد مدبرة المنزل خلفها، لكنها وجدت زوجها مستنداً إلى الباب والإنهاك بادٍ على ملامحه.

- أهذا أنت؟

أنستها دهشتها لرؤيته أنهما لا يتكلمان مع بعضهما البعض. لكنها عندما رأت مظهره المتعب وعينيه الفارغتين، سألته بحذر: «هل أنت بخير؟».

شخر باستخفاف: «هل هذه طريقتك في إخباري بأنني أبدو في حال مزرية؟».

- كلا... بل تبدو... متعباً... يبدو أنك لا تنام جيداً.

فقال بلهجة متوترة: «وكأنك تهتمين».

تصلب جسدها: «إذا اخترت أن تمضي لياليك في سرير خليلتك، فلماذا تتوقع مني أن أهتم؟».

قال بوضوح لئلا تسيء الفهم: «أنا لا أمضي لياليّ مع أحد».

لكنها نظرت إليه بازدراء، وسألته: «ما الذي جعل كارين تحمل، إذن؟».

فتنهد: «سبق وأخبرتك أن لا صلة لي بالأمر».

- هذا ما تقوله أنت. ماذا حدث، هل يؤنبك ضميرك؟

كان أكثر إنهاكاً من أن يجادل، فقال: «اسمعي، في الواقع، صحتي ليست جيدة. ولهذا السبب عدت إلى البيت في... في الرابعة بعد الظهر».

شعرت راشيل بوخزة من القلق لم تستطع أن تمنعها لكنها تجاهلتها، وعادت إلى الرسم وهي تقول بعدم مبالاة: «اطلب من مدبرة المنزل بعض الأسبرين. وكما قلت لك، قد تشعر بتحسن إذا خلدت إلى النوم في وقت مبكر ولو مرة».

كان عليه أن يعترف بأنها محقة فقد عاد يتأخر في مكتبه أكثر فأكثر، بالرغم من التحذيرات. لكنه غير مرغوب فيه في المنزل، وشقة الشركة موحشة بشكل لعين. وهو يفضّل، في حالته الحاضرة، أن يمضي الوقت في الشركة، على أن يمضي الأمسية بطولها وحده.

قال وهو يزن كلماته: «لا أظن أن الأسبرين سينفعني».

وعبس وهو يبتعد مضيفاً: «ولكن شكراً لاهتمامك يا راشيل، هذا يعني الكثير».

كان باب الاستديو حين جاء مفتوحاً، وعندما ذهب تركه مفتوحاً. عاد إلى المنزل عابراً الفناء وهو يشتمها غاضباً. لا يعرف كيف ظن أنها ستهتم لأمره إذا عرفت أنه مريض. لقد أوضحت شعورها نحوه في صباح الليلة التي أمضتها معه.

- انتظر!

كان قد وصل إلى باب المنزل حين سمعها تناديه. يبدو أن ضميرها أنبّها أو لعلها خجلت من نفسها لسلوكها هذا.

لكنها كانت قادمة نحوه، فوقف لتلحق به بالرغم من اشمئزازه.

وبالرغم عنه، سمح لنفسه بأن يتأمل مظهرها.

بدت بحالة جيدة، وقد أضفت أشعة الشمس على ذراعيها وساقيها سمرة ذهبية. كانت ترتدي بلوزة وردية اللون وتنورة بيضاء كشفت عن ساقيها الطويلتين.

وتساءل جاك عما إذا كانت ذكرى الليلة التي أمضياها معاً هي التي جعلته واعياً لكل التفاصيل فيها. هل كان قد نسي مدى جاذبيتها أم أنّ الخوف من أن يفقدها ملأه بمثل هذا الإحساس بالذعر؟ إذا لم تقض عليه حالة قلبه، فقد تقضي عليه قضية كارين.

رفع حاجبيه من دون أن يتكلم. إذا كان لديها ما تقوله، فمن الأفضل أن ينتظر ليرى. لكن، تباً لها! فقد استغلته مهما كان المبرر لذلك. لا بأس، لم يشأ أن يفكر في ذلك الآن.

قالت وهي تضع شعرها خلف أذنيها: «ماذا كنت تعني حين قلت إن الأسبرين لن يفيدك؟».

- هل قلت أنا ذلك؟ لا تفكري في الأمر.

كان يشعر بالحر وبثقل سترته على جسده الذي يسيل العرق منه. كان ممتناً لبرودة غرفة الجلوس، ومسح بيده غير الثابتة جبينه المبلل بالعرق: «أظنني بحاجة إلى حمام».

عضت راشيل شفتها السفلى، إذ لم يرضها جوابه اللبق. وقالت بإلحاح: «إنت قلت إن صحتك ليست حسنة، هل تعاني من مشكلة ما؟».

- إنها مجرد وعكة بسبب الحر، هذا كل ما في الأمر.

- هل العمل على ما يرام؟

لم تكن راضية. وتبعته إلى غرفة الجلوس، محوّلة عينيها عن الأريكة التي جلست عليها كارين ذلك اليوم، ونظرت إلى جاك:

«أعرف أن نيلك ذلك العقد مع كارليل لم يكن سهلاً. وإذا كان هناك مشكلة تتعلّق بالشركة، فيسرني أن أساعدك إذا استطعت».

قال متهكماً رغماً عنه: «إن قلبك طيب».

نعم، لديه مشاكل لكنها ليست مهنية. فمنذ قرأ تقرير الطبيب النسائي لم يعد يستطيع التفكير في أمر آخر.

أما إطلاع راشيل على ذلك... يا إلهي، فهو يفضل العمى على ذلك.

- اسمعي... ما من شيء هام، سأراك فيما بعد.

لم يشأ أن يخوض في حديث طويل، لأن ذهنه مشتت. وحتى لو عمل بنصيحتها وارتاح، لم يكن واثقاً من أنه يستطيع الاسترخاء تماماً. تباً... ثمة امرأة مجنونة ترصد تحركاته، وتصر على أنها حامل منه. سيُجري للطفل فحص الـ (د ن ا) ليثبت كذبها، لكن حتى ذلك الحين ستستمر في تدمير حياته.

- هل لديك أسبرين؟

أسبرين؟ وكتم آهة وهو يقول: «نعم، لديَّ أسبرين».

وقطع الغرفة نحو باب الردهة، وهو يتابع: «على أيّ حال، قد تتحسن حالتي بعد الحمام».

بللت شفتيها وتمتمت: «لن أكون هنا في ما بعد».

وقف ونظر إليها: «لن تكوني هنا؟».

أجابته وهي تعبث بحاشية بلوزتها: «لا، لديَّ موعد».

راح يتأملها فشعر بالإثارة رغم الدوار الذي يشعر به.

حاول التحكم في نفسه وهو يتقبّل مرغماً حقيقة أنه أصبح من الصعب عليه أن يتجاهلها منذ تلك الليلة التي أمضياها معاً. ورغم غضبه وازدرائه وما يشعر به من مرارة، لم يستطع أن يتوقف عن التفكير بما شعر به وهي بين ذراعيه، ومدى نعومة بشرتها حينذاك.

أدرك أن تلك الأشهر الطويلة من التباعد والإقصاء شكّلت سداً أمام مشاعره. لقد أُرغم على أن يتوقف عن التفكير فيها كما أن جسده تدرب على مواجهة الظروف. أما الآن وبعد أن انهار ذلك السد وأصبح ضعيفاً، تدفّقت المشاعر التي كان يكبحها فجأة واكتسحته الرغبات.

لكن هذا لن يحدث، وقال بصوت خافت: «حسناً».

وخرج من الباب متعثراً، كان بحاجة لأن يبتعد، لأن يجلس في مكان منعزل يداوي فيه جراحه. هذا إذا استطاع أن يصعد إلى غرفته في الطابق العلوي من دون أن يسقط على الأرض.

- لقد اتفقت مع لوسي على تناول العشاء معاً.

عندما أخذ جاك يصعد السلم، متشبثاً بالدرابزين بشدة، خرجت راشيل من غرفة الجلوس وأخذت تراقبه. لا بد أنها قررت أنه يستحق توضيحاً، وبدا أنها تنتظر جواباً منه.

وعاد يقول، متمنياً لو تعود إلى الاستديو: «لوسي، حسناً. لا تنسي أن تبلغيها سلامي».

لقد حقق هذا الهدف المطلوب. وبدهشة مكبوتة، استدارت وتوارت عن الأنظار. لقد أمضت هي ولوسي روباردز الكثير من الوقت معاً في الأشهر الأخيرة وهي تعلم أن صديقتها وجاك لا يستسيغان بعضهما البعض.

كانت لوسي مطلقة، لكنها لم تظهر نحو جاك سوى الاحتقار. وفي الخارج، دُهشت راشيل وهي تجد نفسها دامعة العينين حساسة للغاية. تباً له، إنها لا تدين له بأي تفسير. فلماذا أزعجت نفسها وأخبرته إلى أين هي ذاهبة ومع من؟ لماذا لا تدعه وحده حائراً مضطرباً؟ يتساءل عما إذا كانت تخرج مع رجال آخرين؟ إنه يستحق ذلك بعد كل ما جعلها تعانيه.

في الواقع شعرت بالأسف عليه، نعم، إنها تدرك أنها غبية، لكن

هذا لا يغير ما تشعر به. إذا كان مريضاً، فهي تريد أن تعلم لأنها ما زالت زوجته، رغم أنه نسي قسم الزواج بسهولة.

وما الذي كان يعنيه حين نظر إليها بذلك الشكل؟ لقد لاحظت حقيقة نزول نظراته وتركيزها على قسم معين من جسمها. بالنسبة إلى رجل يشعر بوعكة فقد أظهر اهتماماً أكثر مما ينبغي بجسدها. كما أنها لا تستطيع أن تتجاهل حقيقة أنها ما زالت تكنّ له الكثير من المشاعر.

فرّت إلى الاستديو مذعورة، شاعرة بالحرارة تكتسح جسدها. لا بد أنه فعل ذلك عمداً، لا بد أنه يدرك ما تشعر به عندما يدع عينيه الخضراوين تقيّمانها من دون احترام. لكن الذنب ذنبها لأنها جعلته يظن أنها تريده، إنه يعاقبها لأنها عاشرت زوجها. فيا للسخرية!

كان عليها أن تتذكر كارين، وأنها حامل بطفل. وبدلاً من التفكير في تكرار الإساءة، عليها أن تفكر في ما ينبغي أن تفعله. لكن كيف يمكنها التفكير في الطلاق بينما هي ما زالت تحبه؟ ليتها كانت حاملاً! عندئذ، قد تعود المياه إلى مجاريها.

٦ . كبرياء وضعف

حرصت راشيل على ترك البيت قبل أن ينزل جاك من غرفته.

حالما تأكدت من أنه في الحمام، أقفلت الاستديو وعادت إلى البيت لتتكلم مع مدبرة المنزل. أرادت أن تتأكد من أن المرأة تعلم بأن جاك سيتناول عشاءه في البيت.

في غرفتها في الطابق العلوي، خلعت ملابسها ودخلت إلى الحمام. أحسّت ببهجة لشعورها بالمياه الباردة على جسمها الحار، وعندما خرجت إلى غرفتها كانت تشعر بالانتعاش، فأخرجت من خزانتها ثوباً طويل الكمين من الشيفون الأخضر اللون، يلتصق بجسمها مظهراً مفاتنه وطول ساقيها.

أسدلت شعرها الكث على كتفيها، ثم وضعت عقداً حول عنقها وقرطين ذهبيين في أذنيها، وسواراً ذهبياً يتناسب مع ساعتها في معصمها.

وعندما أصبحت جاهزة، تأملت صورتها في المرآة، متسائلة عما جعلها تزعج نفسها إلى هذا الحد. إنه مجرد عشاء مع لوسي... حتى أنها أخبرت جاك بذلك... وهذا وضع يمكنها أن تصححه الآن، إذا شاءت.

كانت المسافة إلى بيت لوسي عشر دقائق سيراً على الأقدام لكن راشيل أخذت سيارتها. ورغم أنه الصيف والشوارع تعجّ بالناس إلّا أنها خشيت عند عودتها أن يكون الليل قد أرخى سدوله، وهي تخشى من

السير في الطريق الساحلي ليلاً.

كانت صديقتها تسكن في أحد البيوت في «ضاحية ماركت أباس» التي بنتها شركة والد راشيل قبل أن ينضم إليها جاك. في ذلك الوقت، كانت شركة «فوكس» للبناء صغيرة نسبياً تلتزم مشاريع محدودة.

ولم تزدهر الشركة إلا بعد أن اقترح جاك التوسع في السوق.

لم تشأ أن تفكر في مساهمة جاك في العائدات المالية التي سرّ بها أبوها في الأيام الأخيرة من حياته. من الأفضل أن تتذكر ما قالته كارين عن أن جاك لم يتزوجها إلا ليسيطر على الشركة. لم تصدق ذلك حقاً، فكفاءة جاك في إدارة الأعمال ستجعله ينجح في أي مكان. ولكن هل هذا ما فكر فيه الآخرون عندما تزوجها؟ وخزة الشك هذه ستأخذ وقتاً طويلاً لكي تمحي.

عندما قرعت راشيل جرس الباب، كانت لوسي جالسة أمام الكمبيوتر فنادت: «أدخلي، سأنتهي بعد دقيقة».

دخلت راشيل إلى ردهة المنزل الصغير، بينما لوسي تتابع: «أنا أجيب فقط على البريد».

كانت لوسي «العمة المعذبة» في عدد من المجلات المحلية... وكان جاك يقول دوماً، بشيء من السخرية، أنه يصعب عليه تصديق ذلك.

هتفت لوسي وهي تستدير لتنظر إلى صديقتها: «تبدين مذهلة. أتراني نسيت شيئاً؟ ظننت أننا سنذهب فقط إلى المدينة لنأكل البيتزا».

احمر وجه راشيل بارتباك: «وهو كذلك.. أنا... شعرت وحسب برغبة في أن أبدو أنيقة، هل ثمة مانع؟».

- حسناً، هذا يجعل قميصي وسروالي الجينز يبدوان مزريين نوعاً ما. لو كنت أعلم أن علينا أن نرتدي ملابس أنيقة، لارتديت شيئاً مختلفاً.

قالت لوسي هذا وهي تنظر إلى ملابسها بأسى.

قالت راشيل، متمنية لو أنها لم تبذل كل هذا الجهد للعناية بمظهرها: «بل مظهرك حسن».

لكنها، وبعد ذلك الحديث مع جاك، أرادت أن تفعل ما يعيد إليها ثقتها بنفسها.

وقالت لوسي: «إذا كان هذا رأيك».

هزت كتفيها ووقفت فبدت أقصر من صديقتها إنشات عدة، وكانت لوسي جذابة بسروالها الجينز الضيق وقميصها المقفل اللذين كانا يتناقضان تماماً مع غرّتها السوداء القصيرة وملامحها الأنثوية.

- جئت بسيارتك طبعاً، فأنت لا تستطيعين السير بهذا الكعب العالي.

- بل أستطيع السير.

قالت راشيل ذلك مكابرة، وقد ساءها قول لوسي هذا. بدا لها وكأن لوسي اغتاظت من عنايتها بملابسها من باب التغيير. وكانت راشيل تشعر عادة بعقدة نقص حيال لوسي لنجاحها في أمور كثيرة.

وتابعت لوسي وكأن راشيل لم تتكلم: «على أيّ حال، هذا يوفر عليّ مشقة إخراج سيارتي من المرآب. سأحضر حقيبة يدي».

كانت المسافة عشرين دقيقة بالسيارة لكن حركة السير أطالتها. لم تتكلم لوسي أثناء الرحلة إلا قليلاً، ما سمح لراشيل بالتركيز على القيادة، حتى ركنت السيارة قرب مطعم «هو» الشهير. عندئذ قالت: «أين جاك الليلة؟».

- جاك؟

كررت راشيل اسمه لتمنح نفسها وقتاً للتفكير في جواب: «إنه... إنه في البيت. لقد عاد من العمل مبكراً، لأنه متوعك صحياً».

- لا أظنك سمعت خبراً جديداً من تلك المرأة التي يخرج معها...

واسمها كارين كما أظنك قلت.

قالت راشيل متمنية لو أنها لم تذكر لصديقتها أمر تلك المرأة: «جونسون».

لكنها، وبعد زيارة كارين لها، كانت بحاجة إلى من تتحدث إليه. ولحسن الحظ أنها لم تخبر صديقتها بكل ما قالته المرأة، خاصة عن أنها حامل. كما أنها لم تخبرها أنها أغرت زوجها في الليلة نفسها، وهو أمر سيصعب على لوسي تجاهله بعد أن أقسمت على ألّا تدعه يقترب منها مرة أخرى.

قالت لوسي وهي تتأبط ذراع راشيل لتتجها إلى المطعم: «نعم، جونسون».

ونظرت إليها بجانب عينها مضيفة: «أنت لم تريها مرة أخرى، أليس كذلك؟ تبدين متكتمة جداً حيال هذا الموضوع».

- طبعاً لم أرها مرة أخرى. ولماذا أراها؟ لقد قالت ما جاءت لتقوله.

- وماذا كان ذلك؟

- أنت تعلمين... أن أمنح جاك الطلاق لكي تتزوجه هي.

- وماذا قال جاك بهذا الخصوص؟

انتظرت لوسي جوابها، وعندما لم تتكلم عادت تقول: «هل تكلمت معه في هذا الموضوع؟ ألم تنسي كما اعتدت أن تفعلي بالنسبة إلى الأمور التي لا تعجبك؟».

شهقت راشيل: «مثل ماذا؟».

- مثل أنك عرفت بعلاقته منذ ستة أشهر لكنك لم تأخذي الأمر على محمل الجد حتى جاءت تلك المرأة لزيارتك.

فقالت راشيل ساخطة: «هذا غير صحيح».

- لماذا بقيتما معاً إذن؟

www.rewity.com YAHEEN

تملكها الارتباك: «حسناً، لم أكن واثقة من صحة ذلك».

- لست واثقة؟

كانتا قد وصلتا إلى المطعم وانتظرت لوسي حتى جلستا إلى المائدة، لتستطرد قائلة: «إنه يمضي الليل في بيتها، حتى أنك رأيت صورتهما في الصحيفة وهما يدخلان معاً إلى شقة الشركة، وتقولين إنك لست واثقة. ماذا تحتاجين يا راشيل أكثر من ذلك؟ أنت لا تريدين أن تواجهي الأحداث. هذا كل ما في الأمر».

ولحسن الحظ، أسكت لوسي اقتراب النادل منهما. واستطاعت راشيل أن تتجنب جواباً مباشراً، بعد أن أخذتا تتحدثان عن الطعام الذي ستطلبانه. تمنت فقط لو تفهم لوسي الإشارة وتترك هذا الموضوع. فمهما كانت صداقتهما قوية، ليس لها الحق في أن تعاملها بفظاظة.

اختارتا ما تريدان، ولاحظت راشيل أن النادل حرص على إرضائها هذا المساء، وهذا ما ساعدها على استعادة الثقة التي دمّرتها لوسي بتعليقاتها الهازئة.

وعندما بدأتا تأكلان، قالت لوسي معترفة: «أنا فقط لا أفهمك. ها أنت ذي متألقة... رائعة الجمال...».

- شكراً.

- ومستقلة مادياً، هذا من دون حصتك في الشركة. أنت لست بحاجة إلى جاك ريوردان، يا راشيل. وبحسب رأيي، ما كان لك أن تتزوجيه منذ البداية.

نظرت إليها راشيل باستسلام: «ماذا عليّ أن أفعل؟ هل أطلّقه؟».

- نعم، هذا هو الرأي الصواب.

وابتسمت لوسي، لكن ليس ببهجة: «ثم حاسبيه على كل قرش كسبه من الشركة».

- أتعنين أن أرغمه على ترك الشركة؟

- نعم، إذا اقتضى الأمر ذلك.

هزت راشيل رأسها: «لا أستطيع ذلك».

- لماذا لا؟

- حسناً، لأن أصحاب الأسهم لن يوافقوا على ذلك أبداً ولأن جاك هو نفسه شركة «فوكس»، ومن دون إدراكه وبصيرته، لعُرضت الشركة للبيع منذ زمن طويل. لم يكن أبي رجل أعمال، يا لوسي. كان يستمتع بما يفعل، لكنه لم يدرك ما يمكن أن يحققه من نجاح إلا بعد انضمام جاك بآرائه إلى الشركة.

قالت لوسي من دون مبالاة: «الا تظنين أن هذا كان أسهل على جاك لأن المال الذي ينفقه ليس ماله؟».

جمدت راشيل: «ماذا تقولين؟ أنه تزوجني ليضع يده على الشركة؟».

لقد سمعت هذا من قبل، من كارين... وآلمها أن تفكر لوسي بذلك هي أيضاً.

على أيّ حال، يبدو أن صديقتها أدركت أنها تمادت بعيداً، فتراجعت بسرعة: «طبعاً لا».

ومدت يدها تعتصر يد راشيل: «جاك يحبك، وأنت تعرفين هذا. لكنه، وككل الرجال الناجحين، أصبح طماعاً، ولم تعد زوجته تكفيه فأراد خليلة بجانبها».

فتنهدت راشيل: «كما فعل مارتن».

توترت شفتا لوسي: «ما دمت قد ذكرت هذا، نعم، كما فعل مارتن. وكنت أنا من الحماقة بحيث صدقته حين قال إنه يريد طلاقاً ودياً. لقد أفرغ النذل حسابنا في المصرف، يا راشيل، ثم أخذ يشكو من الفقر في المحكمة. يا إلهي، لو كنت أعلم أن ديبي حامل، لما

تركته يفلت من يدي بكل شيء».

شعرت راشيل عند سماعها كلمات صديقتها، برجفة خوف تكتسحها. لقد نسيت تفاصيل طلاق صديقتها، والأكاذيب التي أخبرها مارتن للقاضي لكي يمنحه الحق في المسكن الذي عاش فيه هو وزوجته من قبل. ولهذا السبب اضطرت لوسي للسكن في شقة مستأجرة في «ماركت أباس» بدلاً من تلك الشقة المريحة التي اشترياها هي ومارتن، عند زواجهما.

سألتها لوسي بإلحاح: «أنت لا تصدقينني، أليس كذلك؟».

وكانت راشيل قد ابتدأت تتعب من هذا الوابل من النصائح، فقالت: «اسمعي، هذه مشكلتي، صح؟ يسرّني أن تهتمي بي، لكنني أريد أن أعالجها بطريقتي الخاصة».

- كما تشائين.

يبدو أن لوسي فهمت الرسالة أخيراً وسرّت راشيل لأنها لم تخبر لوسي بأن كارين حامل، وإلا لأصبح الشبه بين قضيتهما أقوى من أن تتجاهله.

أمضى جاك السهرة أمام التلفزيون في الغرفة الصغيرة التي يمضي فيها أوقاته الخاصة. كانا قد اختارا هذه الغرفة كغرفة عائلية لكن حين لم ينجبا أي أطفال وضع فيها رفوفاً للكتب ومكتباً صغيراً وأدوات للتسلية. وغالباً ما كانت راشيل تستعمل الغرفة «كاستديو بديل» خاصة في الأيام الباردة، وعندما يتساقط الثلج.

بدت الغرفة هادئة بشكل غير عادي الليلة. بدت مهجورة بعيدة عن أي إنسان على الرغم من صوت التلفزيون. إنها مثله تماماً.

من يهتم إذا ما قتل نفسه؟ وفكر في أن راشيل ربما ستكون أحسن حالاً بدونه.

بعد التاسعة والنصف بقليل سمع صوت سيارة راشيل. لم يصدق أذنيه. عندما تخرج راشيل للعشاء مع لوسي، نادراً ما تعود قبل الحادية عشرة والنصف أو الحادية عشرة. إنه يعلم ذلك لأنه يبقى مستيقظاً حتى تعود.

أراد أن يبقى حيث هو ويتجاهلها مدعياً أنه مستغرق في مشاهدة الفيلم الوثائقي الذي يعرضه التلفزيون لكن خوفه من أن تصعد مباشرة إلى الطابق العلوي دون أن تحاول رؤيته، كان أعظم. فتجاهل تسارع خفقات قلبه، وفتح الباب.

كانت راشيل واقفة في الردهة تضع مفتاحها في حقيبة يدها عندما رأته. لم يكن في التعبير الذي بدا على ملامحها ما يرضي غروره لكن جاك رفض أن يدعها تتجنبه. بدت رائعة بثوبها الذي يظهر مفاتن جسمها الرشيق وخطر في باله أن ملابسها هذه أكثر إثارة من أن تلبسها لتناول العشاء مع لوسي وحدها. فهل دعت لوسي رجلين من زملائها في الصحيفة؟ لكنه يظن أن لوسي تفضل أن تمضغ أظافرها قبل أن تسمح لرجل آخر بأن يدخل حياتها.

لا بأس! مظهر راشيل هذا ذكره بمظهرها حين عاد إلى البيت تلك الليلة. عندما ظن أن المنزل يحترق... فإذا به يحترق هو نفسه. يا إلهي... كم كانت جميلة... ومثيرة... مجرد التفكير في مظهرها حينذاك يشعره بالحرمان البالغ! أم أن رد الفعل هذا هو بسبب علمه أنها زوجته؟

- هل تحتاج شيئاً؟

طرحت عليه هذا السؤال وهي تتأبط حقيبة يدها.

- عدت باكراً.

وتساءل ما عسى أن تجيبه لو دعاها للانضمام إليه. ربما ستقول إنها متعبة لأن المودة لا تبدو على ملامحها.

- كانت لوسي متعبة.

لم تكن صادقة تماماً معه، ففي الحقيقة هي التي تحججت بالتعب وليس صديقتها. ولم تستطع أن تتجاهل شحوبه وعينيه الغائرتين، فسألته: «كيف حالك؟».

اشمأزت من نفسها لشعورها بالأسف حياله لكنها لم تستطع أن تمنع نفسها من ذلك. وتابعت تسأله: «هل قدمت لك السيدة غريدي العشاء؟».

قال محاولاً أن يتحكم برغباته: «حسناً، أنا لم أخرج من البيت إذا كان هذا ما تريدين معرفته».

ألا يفترض به أن يتحكم في رغباته وهو في مثل هذا الوضع الصحي السيء؟ وأضاف بتهوّر: «تعالي! أريد أن أتحدث إليك، لم أتحدث إلى أحد طوال المساء».

- ولا حتى إلى كارين؟

لم تستطع أن تمنع نفسها من طرح هذا السؤال، فرأت الإحباط يعلو وجهه. وقال مكرراً: «لا أحد».

أدرك الآن كم من الصعب أن يطلعها على التقرير الذي وصله من كارين. كما أن الجلوس مع راشيل ليس بالفكرة الصائبة، إذ من السهل أن يرتكب غلطة وهو في حالته الصحية الضعيفة هذه.

وكان على وشك أن يقول: إنسي هذا، عندما قالت وهي ترفع كتفيها بلا مبالاة: «حسناً، سأنضم إليك».

خلعت حذاءها وأمسكت بالفردتين من رباطهما ورفعتهما إلى مستوى العينين وهي تسأله: «هل لديك مانع؟».

هز رأسه نفياً، وتراجع ليدعها تمرّ. وعندما فعلت لفّه عطرها دافئاً عبقاً، ممزوجاً برائحة جسدها الأنثوية.

عندما تبعها إلى الغرفة تساءل عما جعلها تطاوعه فجأة. منذ شهر ما

كانت لتتردد في التحجج بأي عذر لكي تصعد إلى غرفتها.

كان الظلام قد أرخى سدوله فأشعل المصباحين الموضوعين على رفّي الكتب، وبدت الغرفة أجمل في هذه الأضواء.

- آسف... ليس لديَّ شموع.

كان يعلم أن هذا تعليق يتضمن معنى، لكنها لم تنتبه إلى ذلك، وسألته على الفور: «هل أعجبتك؟».

تنفس بعمق، لم يدرك بالضبط ما إذا كان خفقان قلبه بسببها أم بسببه لكنه حاول تهدئته: «كانت مختلفة».

وبما أنّ الجلوس أمامها لن يشعره بالاستقرار، جلس على حافة المكتب، وقال يبادلها الحديث: «هل استمتعت الليلة؟».

- لا بأس.

لم تستطع أن تكذب.

- كنت أنت ولوسي فقط أليس كذلك؟

عبست: «ما معنى هذا؟ نعم. أخبرتك بذلك قبل أن أذهب».

شبك ذراعيه على صدره فاشتد قميصه المقفل على ذراعيه: «كنت أتساءل فقط».

- تتساءل عن ماذا؟

أدرك أنه ما كان له أن يقول ذلك. لم يشأ أن يدخل في جدل معها، وحدّث نفسه بأن يتساهل في الأمر ويفكر في ما سيقوله قبل أن يفتح فمه. وقال: «لا شيء».

وعادت تسأله: «لماذا سألت إن كنا أنا ولوسي وحدنا».

كبح آهة: «لا سبب لذلك».

لكنها لم تتقبل ردّه: «هيا، تكلم، لا أحد يطرح سؤالاً من دون سبب. هل ظننت أنني خرجت مع رجل؟».

- لا.

حاول أن يبدو متذمراً، لكن عندما لم ينفع هذا قال بضجر: «لا بأس، ربما ظننت ذلك. لكن عليك أن تعترفي بأنك لا تبذلين عادة كل هذا الجهد عندما تخرجين معها».

اتسعت عيناها وقالت ساخرة: «هل لاحظت ذلك؟ أتظنني أبدو حسنة المظهر؟».

لم تكن كلمة (حسنة المظهر) لتفي بالغرض، لكنه لم يشأ أن يخبرها بذلك. يبدو أن إثارته تسليها، وإذا كان ذكياً فعليه أن يتجاهل ذلك لكن المشكلة هي وجود حاجز بين عقله ومشاعره.

قال متوتراً وشبه ابتسامة تلوح على شفتيه: «نعم، تبدين حسنة المظهر، ورائعة، ومثيرة للغاية».

انفرجت شفتاها، لكنه لم يعلم ما إذا كانت مدهوشة لهذا المديح أم أنها، ببساطة، تتابع لعبتها.

- وأنت أيضاً تبدو حسن المظهر. لطالما بدوت حسن المظهر في الجينز.

كلامها هذا أقنعه بأنها تعبث به. وقال: «شكراً... أين تناولتما العشاء؟».

كانت هذه محاولة أخرى لتغيير الحديث، لكن يبدو أن راشيل لم تشأ ذلك: «تناولنا العشاء في مطعم (رومانو)، وأنت؟ تبدو متوهجاً قليلاً، هل تشعر بشيء؟».

فقال شاعراً بالإحباط: «لماذا كل هذا الاهتمام بصحتي؟ منذ ساعات قلت لي ألّا أتوقع منك أي اهتمام بي... وإذا بك تهتمين فجأة. أحب أن أعرف ما الذي أحدث هذا التغيير المفاجىء في قلبك؟ هل تشعرين بالذنب أم ماذا؟».

- ولِمَ عليَّ أن أشعر بالذنب؟ لا أستطيع أن أمتنع عن الشعور بالاهتمام بك، فأنت زوجي.

بالرغم من تصميمها على ألّا تدعه يؤثر فيها، إلا أن كلماته لمست منها وتراً حساساً. وقال متشككاً: «نعم، هذا صحيح، ومتى تذكرت ذلك بالضبط؟».

ردّت بحدة: «أنا لم أنس ذلك قط، لست أنا من يعبث خارج البيت».

قال بخشونة، وقد تملكه الارتياح للعودة إلى الوضع المألوف: «ولا أنا».

ولكن كان لراشيل رأي آخر: «بالنسبة إليَّ، أظنني أثبتّ شعوري منذ أسبوعين».

- مضت ثلاثة أسابيع تقريباً على... اتصالنا.

تعمّد استعمال هذه الكلمة. وتابع يقول: «ولا أظن أن واقع أنني زوجك له أي صلة بذلك إن أردت أن تثبتي أن بإمكانك أن تجعليني أرغب فيك. وما أدراك؟ لكن لا تفرحي، يا طفلتي. رفض تلك الدعوة كان بحاجة إلى رجل أقوى مني».

التهب وجه راشيل وهبّت واقفة: «لا يمكنك إلا أن تكون كريهاً، أليس كذلك؟ لا أدري لماذا وافقت على الانضمام إليك، أظنني شعرت بالأسف عليك. لكن تلك كانت حماقة، فأنت لست بحاجة إلى عطف أي إنسان لأنك من دون قلب على الإطلاق».

تمنى لو أنه كذلك، وتملكته لحظة ندم، لكنه لم يشأ أن تكون الكلمة الأخيرة لها، فانتقل ليقف أمامها: «آسف، قولي هذا كان دنيئاً، لا تذهبي».

- بل سأفعل.

لكنها بقيت واقفة، وقبل أن يدرك ما يفعل، أحاط خصرها بذراعيه.

وكانت هذه غلطة. أدرك ذلك حالما شعر بنسيج ثوبها الحريري

تحت يديه ناعماً زلقاً. ورغم غضبها، إلا أنها لم تحاول أن تبعد يديه.

وعندما أمسك بشعرها رفعت وجهها إليه من دون اعتراض.

ورغم ما قالته من قبل، تملكه شعور بأنها لن تعترض. لكنه أدرك أن هذه هي نيتها، فعيناها لم تعودا مستاءتين، بل متلهفتين منتظرتين، وكأنها أدركت ما يفكر فيه بالضبط. وأدرك في تلك اللحظة سبب قبولها الانضمام إليه. ومهما بدا هذا بعيد الاحتمال، فهي تريده أن يعاشرها مرة أخرى.

ولكن لماذا؟ لماذا؟ وعندما أخذ نبضه يتسارع وهو يجاهد للتحكم بمشاعره، تساءل عما إذا كانت الخطة التي وضعتها قد فشلت فقررت أن تحاول مرة أخرى.

كان هذا جنوناً، لكن بدا واضحاً أنها تعتبره عجينة بين يديها. حتى الثوب الذي ترتديه كان مصمماً كي ينزلق عن كتفيها بسهولة.

وثب قلبه مرة... مرتين. حاول أن يلهي نفسه، محدثاً نفسه أن بإمكانه السيطرة على رغباته أو بالأحرى التظاهر بذلك. لماذا لا يمرح معها؟.

- هل ستقبلني؟

كانت تحملق فيه، لكنه رأى وجهها يتمايل أمام عينيه.

أجاب غير واثق مما إذا كان يجيب عن سؤاله أم سؤالها: «لماذا لا؟».

لم يستطع أن يمنع نفسه من أن ينحني ويعانقها مطلقاً العنان لنفسه بعد أن أثارته.

وشعر بحواسه تدور بشكل خطير. لم يستطع أن يتنفس. ومضت لحظة ظن فيها أن قلبه ستوقف عن الخفقان تماماً، لكن الرغبة في الحياة ما لبثت أن تغلبت على كل ما عداها.

شدّ يديها يبعدهما عنه ثم تراجع. لم يعرف كيف كان يبدو.

لعله شاحب كالموتى، لكن راشيل لم تنتبه إلى ما يحدث له وهي تقذفه بالشتائم: «أيها النذل! كان عليَّ أن أتوقع شيئاً كهذا. أنت تريد أن تنتصر، أليس كذلك يا جاك؟ وبأي طريقة».

أخذ جاك يكافح ليلتقط أنفاسه: «أنت لا تفهمين...».

واختنق بالكلمات، لكنها لم تهتم بالشرح وأجابت: «لا، بل أفهم».

وأضافت بحدة، رافضة أن تصغي إلى ما يريد أن يقوله: «ابتعد عن طريقي، تباً لك».

ودفعته جانباً من دون تردد، ثم خرجت من الغرفة بقدر ما سمحت لها به قدماها الحافيتان من كبرياء.

www.rewity.com RAYAHEEN

٧ ـ تلك المرأة مجدداً

بالرغم من شعوره بأنه ليس على ما يرام خرج جاك إلى مكتبه في الصباح التالي مبكراً.

لم ينم جيداً لكن هذا ليس الأمر الجديد عليه، فقد أصبحت الليالي التي ينامها هذه الأيام قليلة ومتباعدة. لم يكن من قبل من الأناس الموسوسين بالأمراض، حتى وقع في مأزقه الصحي الحالي. ولكن لا شك في أن نبضه المضطرب والدوار يجعلانه ينتبه بشكل فائق إلى كل نفس يتنفسه عندما يكون في سريره.

وصل إلى مكتبه من دون أن يصادف أحداً ما عدا هاري، وكان قد أحضر في طريقه فنجان قهوة وجلس إلى مكتبه يشربه. ربما ينبغي ألّا يشرب هذا بعدما حدث له الليلة الماضية. لكن، ويا لجهنم... إن عليه أن يشرب ما ينعشه.

شكر ربه لأن راشيل لم تنتبه لما أصابه. لعلها غاضبة منه، وهي غاضبة طبعاً، لكن سينجرح شعوره إن علمت أن اندفاعها العاطفي جعله يقع على ركبتيه.

إذا كان لديه أي شك في ما قاله الطبيب فقد أُصيب الليلة الماضية بصدمة قاسية. لقد نبهه الطبيب لضرورة أن يخفف من سرعته، ويتجنب الإجهاد والنشاط البالغ. لكنه تابع حياته المعتادة، رافضاً أن يصدق أن مشاكله لن تزول من تلقاء نفسها. قد صدّق ذلك الآن.

ماذا عليه أن يفعل الآن؟ أيسلم عمله إلى من ينوب عنه ويأخذ عطلة

طويلة؟ هذا ما طلبه من الطبيب قبل أن تبدأ كل تلك الفحوصات. في تلك الأيام كان واثقاً من أن بإمكانه أن يواجه كل ذلك وحده.

جمد حين سمع نقراً على بابه، لكنه هاري الذي يوزّع البريد.

- رسالة أخرى لك يا سيد ريوردان. إنك مبكر هذا الصباح.

وناوله رسالة عمل عادية.

استطاع جاك أن يبتسم وهو يأخذ منه المغلف الأبيض كارهاً، متسائلاً عما يحويه، شاعراً بقلبه يخفق بشدة.

قال هاري بإلفة المستخدم القديم: «يبدو أنك بحاجة لأن تستلقي قليلاً. يبدو عليك التعب يا سيد ريوردان وأنت بحاجة إلى عطلة. كل هذه المعاملات التي ترفع الضغط تنهكك».

تنفس جاك بعمق وقال: «كان السيد فوكس يتدبر الأمور بشكل جيد. كان أكبر مني بكثير عندما تقاعد».

عبس هاري: «العمل الذي أداره السيد فوكس لم يكن بهذا الحجم الكبير. كان عملاً صغيراً. لقد عرفت بوب فوكس أكثر من عشرين عاماً وهو لم يتورط قط في أي عمل لا يستطيع أن يديره».

وعبس جاك: «ماذا تعني؟ أن ليس بإمكاني أن أدير العمل؟».

- يا لجهنم، كلا يا سيد ريوردان، آسف لسوء تعبيري. الكل يعلم أن الشركة لم تزدهر إلا بعد انضمامك إليها. كل ما أقوله هو ألّا تجهد نفسك في العمل، فقد رأيت رجالاً أصغر منك سناً ينهارون تحت ضغط العمل.

التوت شفتا جاك بابتسامة جافة: «شكراً».

- أنا أعني ذلك. سأتركك الآن لتستمتع بقهوتك، أخبرني إذا أردت فنجاناً آخر. لديَّ وعاء قهوتي الخاصة في القبو.

كان عليه أن يفتح الرسالة. كان واثقاً من أنها من كارين لكنه صُدم عندما أدرك أنها من طبيبه الخاص.

كانت الرسالة من الدكتور مور يدعوه فيها لزيارة عيادته في الساعة الثانية من بعد الظهر ليناقشا نتائج الفحصوصات التي تلقاها.

لم يعرف ما إذا كان هذا خبراً جيداً أم سيئاً. لكن لو كان الخبر سيئاً لاتصل به الطبيب بكل تأكيد، وربما لا. ربما رأى الطبيب أن من الأفضل أن يشرح له الوضع في عيادته حيث لديه كل أجهزة الإنعاش إذا اقتضى الأمر

وهنا وضع جاك الرسالة جانباً ووقف.. تباً! فقد أصبح موسوساً... ينتظر الأسوأ من دون سبب واضح. يا إلهي... ليته يستطيع أن يتصل براشيل ويسألها رأيها أو يطلب منها مرافقته!

لكن هذا مستحيل، خصوصاً بعد الليلة الماضية. وتقبّل فكرة أنه سيبقى وحده في المستقبل المنظور.

- ستفعل ماذا؟

فوجئت راشيل عندما عاد جاك متعكر المزاج من المكتب في الثانية بعد الظهر، لكن هذا لا يقارن بالخبر الذي حمله.

- أنا ذاهب إلى إرلندا.

كرر هذا بعناد وهو يقف على عتبة باب الاستديو، كما فعل أمس. لكنها رأت في عينيه هذه المرة نظرة تصميم عابسة: «مدة شهر أو وربما ستة أسابيع، أنا بحاجة للراحة من العمل».

تملك راشيل الذهول، فوضعت الفرشاة ومسحت يديها اللتين ارتجفتا فجأة: «هل ستذهب وحدك؟».

شخر ساخراً: «ماذا تعنين بذلك؟ هذه ليست إجازة».

هزت رأسها: «متى قررت ذلك؟ لم أكن أعلم أنك على اتصال بوالديك».

لم يتصل بهما إلا بعد ظهر هذا اليوم، لكن راشيل لم تكن بحاجة

لأن تعلم هذا.

وقال وهو يدس يداً متململة في شعره: «كان قراراً مفاجئاً. منذ فترة وأنا أشعر بصحتي... دون المستوى المطلوب. سيمنحني هذا فرصة... للراحة واستعادة قدراتي».

- ولكن... لشهر كامل؟ ماذا عن العمل؟ أليس لديك شعور بالمسؤولية؟ بالالتزام؟

- شكراً لاهتمامك. لا خوف على الشركة.

أزعجته فكرة أن أول ما فكرت فيه هو الشركة، وبدا الضيق على راشيل: «لم أكن أعني هذا، أمرك يهمني طبعاً... أي شخص يشعر أنه بحاجة إلى شهر من الراحة يهمني أمره. لكني لا أفهم لماذا عليك أن تفعل هذا. هل هذا يتعلق بما حدث... بيننا؟ هل هذه طريقتك لتخبرني بأنك تريد الطلاق؟».

- لا، لا علاقة لهذا بوضعنا، لكن هذا يمنحنا مجالاً للتنفس. لقد دعانا أمي وأبي مرات عديدة، لكننا لم نلبي الدعوة.

- دعيانا؟

- دعياني أنا إذن.

وتذكّر أن المرة الوحيدة التي رافقته فيها راشيل إلى إرلندا لم تكن ناجحة. كانا قد اتخذا غرفتين منفصلتين، ولم يوافق والداه طبعاً على أن يمضي ابنهما لياليه على كرسي بذراعين بدلاً من أن يشارك زوجته السرير القديم الطراز ذا الأربعة أعمدة. وتابع يقول: «إنهما يشتاقان إلى جمع الشمل».

- هذا ما أراه.

تقبّلت راشيل تبريره هذا. منذ عاد والدا جاك إلى «كونتي ويكسفورد»، بعد أن تقاعد أبوه، افتقدا أولادهما وأحفادهما. وكان البيت الأبيض الجميل الذي ابتاعاه يرحب دوماً بالزائرين. وبما أن

جاك هو أكبر أولادهما، فقد كان الابن المفضل.

قال جاك بينما كانت راشيل تفكر بقلق في ما قد يقوله والداه عنها: «على أيّ حال، سيدير جورج الشركة مؤقتاً».

إنها الكنة الوحيدة التي لم تمنحهما أحفاداً. ولعلهما لم يفهما السبب الذي جعلها تبتعد عن ابنهما. ماذا لو أخبرهما عن كارين؟ ماذا لو كان يكذب، وهو حقاً والد طفل كارين؟ يمكنها أن تتصور أبويه حائرين بينهما... الزوجة والعشيقة!

- هل أنت مهتمة بأي من هذا؟

أدركت راشيل فجأة أنه تابع كلامه بينما كانت تحدق في الفضاء من دون أن ترى شيئاً فاحمر وجهها: «آسفة، كنت أفكر. متى قررت الذهاب؟».

- في نهاية الأسبوع وليس قبل ذلك لأنني أريد أن أشرح لجورج كيفية سير العمل. وإذا صادفته مشاكل فيمكنه أن يتصل بي طبعاً. سآخذ معي الكمبيوتر المحمول ليكون اتصالنا سهلاً.

- يبدو وكأنك خططت مسبقاً لكل هذا.

- هذا صحيح.

- منذ متى وأنت تفكر في ذلك؟

عبس. لو أنها تعلم فقط؟ لكن كل ما قاله هو: «لم أفكّر في الأمر طويلاً، قلت لك إنه قرار مفاجىء، ولا أظنك ستفتقدينني أثناء غيابي».

حدقت فيه: «ماذا تريدني أن أقول يا جاك؟».

أسرع يقول متجنباً مواجهة أخرى: «لا شيء. فكرت فقط بأن أخبرك بما أفعل».

- وماذا عن كارين؟

نظر إليها خافقاً بأهدابه: «لا علاقة لكارين بهذا الأمر».

- لا؟ هل أنت واثق من أنك لا تتهرب من وضع صعب؟

فشهق: «يا إلهي! هل هذا ما تظنينه حقاً؟».

- لا أدري، يبدو هذا مناسباً أكثر مما ينبغي.

لم تصدق أن هذا القرار بالاستراحة مدة شهر اتخذ سبب كثرة العمل فقط.

ودّ جاك لو يخبرها كم أن قلبه متعب، وقال: «مناسب؟ أتظنين حقاً أنني سأدع تلك المرأة تملي عليَّ تحركاتي؟ فكري مرة أخرى يا راشيل».

- لا بأس، ولكن ماذا تظنها ستفعل حين تعلم أنك تركت البلاد؟

- تركت البلاد؟ كأنك تقولين إنني هربت منها. لا يهمني ما ستفعله، لكن يبدو أنه يهمك أنت... بعد كل ما أخبرتك هي به عن أن الطفل الذي تحمله هو طفلي.

حبست أنفاسها: «إنها حامل إذن؟».

أغمض عينيه لحظة محاولاً التحكم بأعصابه: «هذا ما يبدو، لكنه ليس طفلي!».

- وكيف عرفت ذلك؟

نظر إليها بعينين باردتين: «حسناً، لو نمت معها لتذكرتها».

- أعني هل أنت واثق من أنها ليست كاذبة؟

- لقد أرسلت لي نتيجة فحص الحمل الذي قامت به.

- متى أرسلت إليك ذلك التقرير؟

- منذ يومين على ما أظن... هل هذا مهم؟

فقالت بحرارة: «يهمني إذا ما أرسلت إلى زوجي معلومات عن وضع ينكر مسؤوليته عنه، ماذا فعلت به؟».

- مزقته... وسامحيني إذا ما أزعجك سلوكي هذا، ووجدته لا يطاق، بينما أنت نسيت عملياً أن لديك زوج.

- أنا لم أنس أبداً.

وتقدمت نحوه وقد توترت أعصابها، لظنها بأن ما حدث بينهما شكّل جزءاً كبيراً من رغبة جاك في الابتعاد: «أنت تصدقني أليس كذلك؟».

ومدّت يدها تلامس ذراعه مضيفة: «ولا أريدك أن تنسى ذلك».

- أتعنين أثناء وجودي في إرلندا؟

وبالرغم من أن ملامستها لذراعه قد أثارته، إلا أنه لم يشأ أن تسيطر عليه: «ما الذي تخشينه يا راشيل؟ أن أبحث عن فتاة إرلندية جميلة أطفىء رغباتي معها؟».

- كن مهذباً.

وأرادت أن تبتعد لكنه أمسك بمعصمها يمنعها ثم قال ساخراً: «ماذا حدث؟ هل ضربت على عصب حساس؟».

- كلا!

رفع معصمها إلى شفتيه يلثمه، ثم قال: «أنت كذابة كبيرة يا راشيل».

انتزعت معصمها من يده وقالت بحدة: «أنا لست مثلك، ولا أدري كيف أصدق كلمة مما تقول».

رفع حاجبه مؤنباً، ثم قال متجاهلاً كلامها: «هل ستفتقدينني؟».

- ولماذا أفتقدك؟ كما قلت أنت، مضى وقت طويل منذ تصرفت كزوج.

فزمجر بهدوء: «أظن أنّ ما قلته هو أنك نسيت أن لك زوجاً، ولكن إذا شئت أن نستأنف علاقتنا فسنتحدث في الموضوع عندما أعود».

فغرت فمها: «أنت مغرور...».

- حقاً.

فقالت بصوت مرتعش: «أنت تظن أن العالم يدور حول جاك ريوردان دون أحد آخر».

كان يعلم أن عليه ألا يعرّض نفسه لمواجهة عنيفة، فعاد يتجه نحوالباب: «هكذا أنا، هل سأراك على العشاء؟».

لحقت به: «هل هذا كل ما ستقوله؟ أن تأتي وتخبرني أنك مسافر إلى أرلندا آخر الأسبوع، ثم تعقّد الأمور بقولك إن تلك المرأة أرسلت لك تقريراً طبياً عن جنين تنكر صلتك به؟».

- نعم، أنكرها.

- وما الذي يُفترض بي أن أفعله إذا جاءت تبحث عنك؟

- لن تأتي.

- ما الذي يجعلك واثقاً؟

فتأوّه، أصبح هذا لا يطاق، ويبعث على الانفعال: «سأتحدث إليها قبل رحيلي. وسأخبرها بما أفعل...».

فاندفعت تقول: «إياك أن تجرؤ على الاقتراب من تلك المرأة، يا جاك، وإلا... لن أتحدث معك أبداً مرة أخرى».

قولها هذا جعله يتردد. كان يعلم أن هذا ليس الوقت أو المكان المناسب لما يفكر فيه، لكنه لم يستطع أن يمنع نفسه. كان يعلم أنه جنون، وأنه قد يندم عليه. لكن المشاعر التي أشعلتها فيه استحال عليه أن يقاومها.

- أنت امرأة مجنونة.

ألقى بسترته على الأرض ثم تخلل شعرها بأصابعه وهو يسندها إلى اللوح الخشبي حيث تضع أدوات الرسم، ثم أحنى رأسه نحوها متجاهلاً الإنذار الذي تلقاه، ليعانقها، ثم أحاطت وجهه بكفيها تلامس ذقنه غير الحليقة قبل أن تحولها إلى الشعر على رقبته.

لا أحد يمكنه أن يثيرها مثل جاك. ورغم أن التعقل تصارع مع الرغبة في الإستسلام له، إلا أن التعقل كان يخوض معركة خاسرة.

وفجأة، قاطعها تنحنح شخص ما خلفهما، فشعرا وكأنهما غطسا

فجأة في حوض من الماء البارد. وشتم جاك لكنه ابتعد عنها.

- أنا . . . أنا آسفة على الإزعاج، يا سيدة ريوردان.

كانت هذه مدبرة المنزل كما سبق وخمّنت راشيل.

- آسفة لكن ثمة مخابرة للسيد ريوردان. أخبرتها أنكما مشغولان لكنها أصرت على أن الأمر مستعجل. آسفة ولكن ماذا بإمكاني أن. . .

- إنها إمرأة إذن؟

لم يهمها اعتذار مدبرة المنزل بينما جاك يقاوم إحباطاً مدمّراً ويكافح ليتنفس.

لكنه مع ذلك، استطاع أن يستدير ويواجهها، قائلاً بضعف: «سأجيب على المكالمة، يا سيدة غريدي».

أدرك من عسى أن تكون، فاستقام في وقفته وسألها: «في الغرفة الخلوية؟».

لكن راشيل لم تكن مستعدة لتسهيل الأمور: «من هي يا سيدة غريدي؟».

لكن جاك كان يعلم أنها تعرف المتصلة بقدر ما يعرفها هو.

أجابت مدبرة المنزل: «إنها الآنسة جونسون تلك. .».

هز جاك رأسه وسار نحو البيت بخطوات واسعة غير ثابتة نوعاً ما بينما المرأة تتابع: «لا أدري لماذا تتصل إلى هنا. إذا كان ثمة خطب في المكتب، فعليها أن تلتزم بساعات العمل».

٨ - حقيقة أم وهم؟

- أنا ذاهبة إلى لندن الثلاثاء، فلِمَ لا تأتين معي؟

جاءت هذه الدعوة من لوسي، بعد أسبوع على رحيل جاك إلى إرلندا، وفيما كانت راشيل تشعر باكتئاب شديد. وكانت قد جاءت إلى البيت بعد أن أبلغت راشيل مدبرة المنزل أنها لن تتلقى أي اتصال إلّا من ناشر رسومها. ولم تكن لوسي قد تحدثت إليها منذ الصباح التالي لخروجهما لتناول العشاء معاً.

كان طبيعياً أن تسألها عن أحوال جاك، ستضطر راشيل لأن تخبرها بأنه مسافر وسيغيب اسبوعين، وهي لم تشأ أن تتحدث عن ذلك. لم تشأ أن تتحدث عن أي شيء منذ رحيل جاك. لكن كان عليها أن تعلم أن لوسي سرعان ما ستستخلص الحقيقة منها. وسألتها هذه على الفور: «لماذا؟».

كان على راشيل أن تشرح لها أنه بحاجة إلى راحة: «لقد استمر يعمل من دون توقف تقريباً منذ وفاة أبي. بدا في الأسابيع الأخيرة متعباً للغاية».

- ولماذا لم تذهبي معه؟

- ليس لدي وقت، كما أنه سيمكث مع والديه وأنا لست كنتهما المفضلة.

- لأنك لم تنجبي طفلاً كل عام؟ يا لهما من رجعيين، إنهما يعيشان في القرون الوسطى.

www.rewity.com

لكن هذا موضوع لم تكن راشيل مستعدة للخوض فيه إذ ما زالت متكدرة مما عرفته قبل أن يسافر جاك. فمهما حاولت أن تنبذ هذا من ذهنها، لم تستطع أن تتجاهل أن كارين جونسون حامل وأنها أرسلت الفحص الذي يثبت ذلك إلى زوجها. إذا لم يكن جاك والد الطفل، فمن هو إذن؟ وزاد الأمر سوءاً أن جاك رفض أن يخبرها بما تريده كارين، بعد ذلك الاتصال الذي قطع عليهما خلوتهما.

وطبعاً، لم تحسن هي التصرف نحوه إذ تملكها السخط والاستياء لأنه تركها وذهب ليتحدث إلى تلك المرأة. أما أنه لم يكن لديه خيار آخر، وإذا طلب من مدبرة المنزل أن تختلق عذراً، لبدا هذا جبناً منه. كل هذا لم يخطر في بالها إلا في وقت لاحق، ما جعل رد فعلها الغاضب الفظ يزيد الوضع سوءً. لقد اتهمها جاك مرة أخرى بأنها لا تثق به. وبدلاً من تهدئة مخاوفها، قال لها إن بإمكانها أن تصدق ما تشاء.

تركا الموضوع عند هذا الحد، وأمضى جاك الأيام السابقة لرحيله في تنظيم شؤونه في المكتب مبتعداً عن البيت قدر إمكانه، متجنباً أي جدال آخر. ولم تعرف راشيل ما إذا كان قد رأى كارين، وما إذا أخبرها بما يفعل. لكنها على أيّ حال، رفضت تلقي أي اتصالات هاتفية منذ رحيله.

لم يكن هذا وضعاً مثالياً، لكنها كرهت الإفضاء بذلك إلى لوسي. كما أنها، وبالرغم من تصرفات جاك، لم تكن مقتنعة تماماً بأنه مذنب. لقد عرف كارين لبعض الوقت، وتناول معها العشاء مرة على الأقل وأمضى الليل عندها. لكن إن كان ما فعله بريئاً، فلما لم يذكر هذا الحدث البسيط لها؟

لم يكن يعلم طبعاً أنها تتجسس عليه، فقد تملكها الشك منذ اقترح شراء شقة للشركة في بلايموث. بعدئذ، ساعدتها لوسي على استخدام

تحرٍ لاقتفاء أثره مدة أسابيع. حقيقة أنه شوهد يدخل شقة كارين مرة واحدة، لم تكن مقنعة. لكنها استغنت عن خدمات التحري وأخبرت لوسي أنها ستعالج الأمر على طريقتها الخاصة.

- ماذا حدث؟

كانت لوسي قد لاحظت استغراقها في تأملاتها، فأجابت راشيل: «لا شيء. كنت بعيدة أميالاً، ماذا كنت تقولين؟».

قطبت لوسي جبينها: «اقترحت أن نمضي يومين في المدينة. لماذا لا تأخذين فترة راحة، أنت أيضاً؟».

كانت الفكرة جذابة، لكن راشيل بقيت تصرّ على أنها مشغولة جداً. وقالت وهي تلتفت إلى الصينية التي أحضرتها مدبرة المنزل ووضعتها على الطاولة بجانبها: «ليتني أستطيع! أتريدين شاياً مثلجاً؟ مع الليمون أم بدونه؟».

- مع الليمون.

رفعت لوسي وجهها إلى الشمس. كانت جالستين في فناء المنزل وقد تبددت الغيوم مفسحة المجال ليوم حار آخر. وقالت: «من يحتاج إلى عطلة وهو يعيش هنا؟».

كانت هذه إشارة أخرى إلى جاك لكن راشيل تجاهلتها، وقالت: «نعم، يعجبني هذا. لِمَ عليك أن تذهبي إلى لندن؟ هل ستمضين الليل هناك؟».

- كما قلت لك، سأمضي هناك أيام عدة من أجل العمل.

وألقت نظرة على البيت: «ألا تشعرين بالوحشة هنا وحدك؟».

فأجابت راشيل وهي ترشف الشاي: «معي مدبرة المنزل».

فهتفت لوسي: «إنها ليست صديقة بل مستخدمة عندك».

- السيدة غريدي مرافقة جيدة، ونحن منسجمتان معاً.

- وأنت مستعدة للبقاء هنا حتى يختار جاك أن يعود لأنك زوجة

صغيرة مطيعة، صح؟

فتنهدت راشيل: «الأمر ليس كذلك يا لوسي، لو شئت الذهاب إلى إرلندا لفعلت، لكنني لم أشأ ذلك».

- هل أنت واثقة من أنه ذهب وحده؟

حدقت راشيل فيها: «طبعاً».

- لكن كل ما لديك هو كلمته، أليس كذلك؟

- لوسي، لقد ذهب إلى بيت والديه، ألا تظنين أنهما سيعترضان إذا اصطحب معه امرأة أخرى؟

هزت لوسي كتفيها: «ربما».

- ما معنى هذا؟

فكرت لوسي لحظة: «حسناً.. ربما لن يعترض والداه كثيراً إذا طلقك جاك وتزوج امرأة أخرى».

- لوسي، والداه كاثوليكيان متعصبان، وأحد أخوة جاك كاهن، إنهما لا يؤمنان بالطلاق.

- لكن إذا كان هذا يعني أن يُرزق جاك بعدد من الأطفال...

- لا تقولي مثل هذا الكلام يا لوسي.

هبت راشيل واقفة قبل أن تكمل لوسي كلامها، وسارت إلى السور المحيط بالفناء وضربته بيديها بسخط بالغ، ثم قالت وظهرها إلى لوسي: «من الأفضل أن تذهبي قبل أن أقول ما نندم عليه، نحن الاثنتين».

- آه، راشيل.

وسمعت لوسي تنهض ثم تسير إليها: «أعرف أن كلامي كان قاسياً وغير لبق وأنا آسفة، لكنني أريد الخير لك ولا بد أنك تعرفين هذا!».

- أحقاً؟ أظنك تريدين أن تؤلميني، يا لوسي...

- كلا!

- وقد حققت ذلك، اذهبي، أرجوك.

وضعت لوسي أصابع مترددة على كتفها: «راشيل، عزيزتي، لا تتصرفي بهذا الشكل. نحن صديقتان منذ وقت طويل، فلا تدعي جاك ريوردان يفصل بيننا».

ابتعدت راشيل عنها ثم واجهتها: «جاك ريوردان زوجي. أعلم أنك تشعرين بالمرارة بسبب معاملة مارتن لك، لكن جاك ليس مثله».

نظرت إليها لوسي بحذر: «أتظنين ذلك؟».

قالت راشيل رغم أنها كانت تكذب حتى على نفسها: «بل أنا واثقة».

ما الذي تعرفه في الحقيقة، باستثناء أن كارين جونسون حامل؟ أصرّ جاك على أنه ليس طفله وهي تريد أن تصدقه. ولكن أليس من الطبيعي أن ينكر هذا حتى لو كان صحيحاً؟

وقالت: «لا أريد أن أتحدث عن ذلك بعد الآن».

- لن نتحدث إذن. تعالي واجلسي يا حبيبتي، ودعينا نستمتع معاً. هل أخبرتك أنني رأيت كلير ستانفورد الأسبوع الماضي؟ لقد ازداد وزنها حتى أنني لم أعرفها.

بالرغم من شكوكها، تركت راشيل لوسي تلاطفها للعودة إلى مجلسهما. لعلها حمقاء لإذعانها، لكن لوسي هي أقرب صديقاتها إليها، وليس لديها من تفضي إليه بما يكدرها سواها. لعل لوسي على حق، قد يظهر والدا جاك بعض التساهل إذا ظنا أن هذا يجعل جاك سعيداً. لم تشأ أن تفكر في هذا، لكن البذرة ألقيت وتجذرت فيها.

كان المكان هادئاً للغاية.

حتى بعد مرور ثلاثة أسابيع على وصوله إلى «باليريان»، لم يتعوّد جاك بعد على غياب السيارات وزحمة السير، وصورت الطائرات

والضجيج ورنين الهواتف.

في البداية، كان يستيقظ في منتصف الليل على تسارع خفقات قلبه وتوتر أعصابه، فيمضي نصف ساعة مصغياً بتوتر، عسى أن يكتشف ما أيقظه من نومه. وتطلب الأمر أسبوعاً ليدرك أنه السكون، الصمت المطبق. وكان هذا يزعجه للغاية.

لكنه اعتاده الآن، اعتاده في أغلب الليالي. كما اعتاد أيضاً أن ينام ثماني أو تسع ساعات على الأقل. فلا أحد يزعجه أو يحضر له كوب القهوة أو الشاي مبكراً إلا إذا طلبه بنفسه.

وعاد أبواه إلى حياتهما اليومية العادية من دون أن يطرحا عليه أسئلة غير ضرورية. إذا احتاجهما فهما موجودان، لكنهما منحاه كل الوقت الذي يريد.

لم يعاملاه وكأنه عاجز، رغم أنه اضطر لأن يخبرهما بما قاله طبيبه. تملكه الشك حتى في أن يكونا قد سمعا يوماً بما يسمى عدم انتظام النبض حتى شرحه لهما. ورغم أن أمه لم تستطع أن تخفي قلقها في البداية، إلّا أنها ما لبثت أن اعتادت الأمر.

انتبه جاك إلى أنّ الصنارة التي ألقاها في الماء تهتز. كان أبوه صياداً ماهراً، وفي الأيام الأخيرة اكتشف جاك متعة أن يجلس على ضفة البحيرة ويدع الوقت يمرّ. كان كوخ والديه يشرف على البحيرة، فلم يضطر لأن يسير طويلاً وهو يحمل الكرسي المصنوعة من القماش، والمظلة. وهكذا، جلس ومعه صنارة الصيد وزجاجة ماء بارد، ثم استسلم للنسيم العطر.

كانت السمكة التي اصطادها صغيرة فأعادها إلى الماء حيث أخذت تتخبط قليلاً قبل أن تختفي، بينما استأنف هو تأملاته للشاطىء المقابل.

تساءل عما إذا كان صيد السمك قد جعل أباه غافلاً عما حوله. لكنه كان يتكلم بوضوح وعمق في غياب زوجته، وقد رأى أن ابنه مريض من

دون شك، كما قال طبيبه، لكن الحل يكمن بين يديه.

وقد طلب منه أن يتوقف عن إنهاك نفسه من دون ضرورة قبل أن يرتكب حماقة ما تقتله. هذا هو المنطق البسيط الذي يعجب جاك فغالباً ما يكون هذا الرجل العجوز عقلانياً، حتى لو لم يأخذ جاك بنصيحته. وإذا ظن الأب أن راشيل تُلام جزئياً على ما يعانيه ابنه من ضغط نفسي، فهو لم يقل ذلك كما لم تسمح كرامة جاك له بأن يشرح سبب تدهور العلاقات بينه وبين زوجته.

على أيّ حال، تملك جاك الارتياح حين علم أن ما من شيء لا يمكن معالجته بالدواء وتغيير نمط حياته. الغذاء، التخفيف من شرب القهوة، وممارسة الرياضة وانتظام مواعيد الطعام.

لم تكن حالته غير عادية بحسب الدكتور مور. كثيرون ممن هم في وضعه لم يهتموا بحالتهم الصحية إلا بعد فوات الأوان. في الواقع، تستغرق إجازته ستة أشهر وليس شهراً أو شهراً ونصف كما قال لراشيل.

- جاك... جاك!

أعاده صوت أمه إلى الواقع فنهض عن كرسيه كارهاً. ما زال الوقت مبكراً للغداء. ولم يفهم سبب ذلك الاستعجال في صوتها. لكن عندما استدار ليتسلق المرتفع البسيط الفاصل بين ضفة البحيرة والكوخ، رأى أمه تقف على حافة المرتفع تنظر إليه. إنها امرأة نحيفة جذابة في الخمسينات، ذات شعر كان يوماً أسود لامعاً كشعر ابنها. كانت تشبك ذراعيها على صدرها، وعلى ملامحها قلق بالغ. مدّت يدها تساعده على صعود الجزء الصعب من المرتفع، لكنه ألقى عليها نظرة حانقة وقال بجفاء: «نعم.. اجعليني أشعر بأنني أصبحت عاجزاً».

أخذ نفساً عميقاً قبل أن يسألها: «والآن... أين الحريق؟».

ضربته على صدره بقبضتها وهي تنظر إليه بعينين دافئتين محبتين، ثم

نظرت إلى البيت وكأنها تخشى أن يكون ثمة من يتبعها: «لديك زائر».

تسارعت خفقات قلبه وتوترت معدته وتساءل إن كانت الزائرة راشيل... فقد اشتاق إليها كثيراً. لكن المنطق جعله ينبذ تلك الفكرة فأمه تعرفها وكانت لتقول إنها راشيل. وهبطت كتفاه عندما خطرت له فكرة أخرى: «هل هو الأب باتريك؟».

ردت بحدة: «لا، ليس الأب باتريك الذي عليك أن تصغي إليه. سفرك إلى تلك البلاد الوثنية لا يعني أن عليك أن تهمل إيمانك يا جاك».

الإيمان! وعبس. لكن كل ما قاله هو: «إنكلترا ليست بلداً وثنياً، يا أمي. لقد عشت هناك طويلاً حتى أنني ولدت هناك».

فقالت بحزم: «أنت من سلالة إرلندية جيدة. والآن، وقبل أن تذهب لاستقبال الزوار، هل هناك ما تحب أن تخبرني به؟»

حدّق فيها: «مثل ماذا؟».

- شيء يعذّب ضميرك؟

- يعذّب ضميري؟ عما تتحدثين بحق جهنم؟

- لا حاجة لمثل هذه اللهجة، يا جاك. اذهب وانظر بنفسك فليس من الإنصاف أن تدع المرأة الشابة تنتظر، لا سيّما بعد ذلك الطريق الطويل الذي قطعته لتراك.

- انتظري. هل قلت المرأة الشابة؟

- سمعك سليم يا جاك. هل حرك هذا ذاكرتك؟

عبس: «لا أصدق ذلك».

- ما الذي لا تصدقه؟ إنها هنا ويمكنك أن تصدق ذلك. ويبدو جلياً أنها ستلد طفلاً، يمكنك أن تصدق هذا أيضاً، فهل هو ابنك؟

- كلا!

وتأوه، هذا غير ممكن... لكنه حصل. كارين هنا. لقد عرفت

بشكل ما عنوان أبويه فلحقت به. لقد تطلّب هذا ثلاثة أسابيع، لكنه يعلم جيداً مدى إصرارها، وقال: «لا بأس».

صدّقت أمه كلمته حتى الساعة لكن إلى متى سيدوم هذا عندما تبدأ كارين بنسج أكاذيبها؟ وتابعت الأم: «حسناً، لا تدعها تنتظر طويلاً».

أخذ نفساً عميقاً، محاولاً ألّا يدع هذا يزعجه. لكن حقيقة أن كارين هنا حقيقة مرة. ماذا تريد؟ ماذا تحاول أن تفعل به؟ لا يمكنها أن تثبت أنه ابنه. لكنه، لا يستطيع هو أيضاً أن يثبت أنه ليس ابنه.

ليس الآن على أيّ حال.

كانت كارين في انتظاره في غرفة الاستقبال الأنيقة، والتي لا تستعمل إلا في المناسبات ما جعل جاك يغضب وهو يراها تلوّث جو منزل والديه.

حين دخل، هبّت واقفة. وأول ما لاحظه هو بروز بطنها على غير ما يعهده لكن شهوراً مضت منذ رآها.

- مرحباً، جاك.

نبرة صوتها المتكلفة أثارت أعصابه، كانت ترتدي ثوباً منقوشاً بالأزهار: «أرجو ألّا تمانع حضوري لكنني اضطررت لذلك».

سألها وهو يستند إلى الباب، ناظراً إليها بعينين باردتين: «لماذا؟ ماذا تريدين؟».

تجاهل شهقة أمه المصدومة: «جاك!»

وتابع قائلاً: «أظنني أوضحت لك موقفي قبل أن أغادر إنكلترا».

- آه، جاك!

وأخرجت من حقيبتها منديلاً ورقياً ضغطته على عينيها متظاهرة بالبكاء: «لا تتصرف بهذا الشكل، أنت تعلم أنني أحبك».

حوّل جاك عينيه الغاضبتين نحو أمه ولم يدهش لرؤية الذعر في عينيها. يمكن لكارين أن تمثل دورها بشكل مقنع تماماً. وحاول أن

يتمالك نفسه، شاعراً بالذعر: «لن تنجحي في هذا، يا كارين. عليك أن تتوقفي عن إضاعة وقتك ووقتي وتخرجي من هنا إلى جهنم».

ومرة أخرى أخذت كارين تتصنع البكاء، بعد أن عادت إلى الجلوس دافنة وجهها بين كفيها: «كيف يمكنك أن تكون بهذه القسوة بعد كل الحب الذي جمع بيننا؟».

لم يستطع أن يحتمل أكثر، فدفع أمه جانباً وخرج من الغرفة ثم وقف مسنداً ظهره إلى جدار المنزل حتى هدأت خفقات قلبه.

كان لا يزال واقفاً هناك مغمضاً عينيه إزاء أشعة الشمس حين سمع خطوات تقترب منه، وتشتت ذهنه. كانت الخطوات قادمة من الناحية المعاكسة، لكنها خطوات امرأة بكل تأكيد. وعندما فتح عينيه رأى راشيل تحدق فيه بقلق حقيقي.

٩ - تعالي واستعيدي رجلك

تساءل جاك عما إذا كان عليه أن يضيف إلى العلل التي يعانيها علة (الهلوسة)... لعل أشعة الشمس التي تحرق عينيه هي المسؤولة عن رؤيته لراشيل واقفة من دون حراك على الدرب المؤدي إلى الباب. لا يمكن أن تكون هنا، خصوصاً في هذا اليوم بالذات، فيما كارين في صالون أمه. لا بد أن هذه فرحة تثير الغثيان رغم شوقه إليها.

وتكلمت، وأدرك أن أعظم أمنية لديه وأكبر خوف اصطدما معاً.

هتفت وهي تسرع نحوه لتضع يدها على جبينه: «جاك ماذا حدث؟... تبدو... مريضاً؟».

رأت راشيل أنها تعاملت مع حاجته إلى الراحة بلا مبالاة بالغة. كان عليها أن تدرك أن ليس من عادته أن يتخلى عن مسؤوليته، وأن يترك إدارة الشركة لشخص آخر إلا إذا اضطر إلى ذلك. بدا واضحاً أنه بحاجة إلى أكثر من إجازة، لكنها لم تدرك هذا.

أغمض جاك عينيه لحظة، وهو يرجو تقريباً أن تكون رؤيتها مجرد تخيّلات. لكن عندما شدّت على معصمه، أدرك أن لا مفر من المواجهة: «كنت... كنت محموماً قليلاً.. هذا كل ما في الأمر».

وأدركت أنها عندما تعلم أن كارين هنا، فستكتشف سبب سخطه، وتابع يقول: «كيف وصلت إلى هنا؟».

- بالطريقة المعتادة.

لم تكن مهتمة حالياً بالحديث عن الطريق الذي سلكته.

www.rewity.com KAYAHEEN

- أخذت الطائرة إلى دبلن، ثم القطار إلى وكسفورد، هل هذا مهم؟ أنا هنا الآن.

ونظرت في عينيه متفحصة: «هل أنت مسرور لرؤيتي؟».

فتأوه: «نعم».

ابتسمت بارتياح: «لم أكن واثقة من أنك ستسرّ بعد الطريقة التي تصرفت بها معك قبل رحيلك. أنا حمقاء أحياناً».

فبلل شفتيه: «هذا يجعلنا اثنين».

- لماذا لم تخبرني؟

- أخبرك بماذا؟

ظن للحظة أن الدكتور مور تحدث إليها، لكنه عاد فتذكر أن الطبيب لا يفشي أسرار مريضه، ولا حتى لزوجته.

- إذا كنت تعنين حالتي، فقد أخبرتك بأنني منحرف المزاج.

- نعم، لكنني ظننت...

وسكتت ثم أخذت تتساءل بتعاسة، ما الذي ظننته؟ كانت متوترة الأعصاب بسبب كارين، وقالت: «على أيّ حال، يبدو أن الأمر أخطر مما ظننت».

- هل أبدو بحال سيئة إلى هذا الحد؟

- لا... نعم.. ليس الأمر بهذا الشكل. أنت تبدو شاحباً نوعاً ما. علمت أنك تشعر من دون شك بالأسى البالغ لتركك العمل لكنني لم أدرك أن جزءاً من اللوم يقع عليّ إلا بعد أن تحدثت إلى جورج.

حدق جاك فيها: «هل تحدثت إلى جورج؟ جورج توماس؟».

- ومن غيره؟ لا أعرف (جورج) غيره. والآن، لا تنظر إليّ بهذا الشكل، إنه قلق عليك هو أيضاً. وعندما قال إن لديك... مشاكل شخصية... حسناً، أدركت أنه يعنيني أنا.

- هل هذا كل ما قاله؟

- بل أكثر. آه، يا جاك.. كم اشتقت إليك.

واقتربت منه، فقال: «أحقاً؟».

كان هذا أكثر ما يريد أن يسمعه، أن يعلم أنها قامت بهذه الرحلة لأنها تهتم به. لا بأس، ربما شعرت نحوه بشيء من الأسف، لكنه لا يريد أن يرى الرثاء في عينيها.

- أتريدني أن أثبت ذلك؟

لم يكن لديها فكرة عما يفكر فيه، ومالت برأسها تعبث بالشعر الذي على معصمه. بدت في التنورة السوداء والسترة «الدانتيل» أكثر جمالاً من أي وقت آخر، وأكثر إثارة أيضاً.

نظرت من حولها وكأنها شعرت بما يفكر فيه: «أين والداك؟ أظن أنّ عليّ أن أعلمهما أنني هنا».

ولكزته مضيفة: «إلا إذا وجدنا مكاناً نتوارى فيه».

أطلق جاك نفساً مرتجفاً، إذ ذكّرته كلماتها بمكان وجودهما. وتمنى ألّا يكون صوتها قد وصل إلى غرفة الاستقبال. وقال كاذباً: «ليسا هنا...».

فهو بحاجة لأن يكونا وحيدين حالياً مهما حدث بعد ذلك. وعندما همّت بأن تجره نحو الباب، وضع يده حول خصرها: «لا داعي للدخول إلى البيت، فالجو جميل جداً في الخارج».

- إذا شئت. إلى أين سنذهب؟

- دعي هذا لي.

وجرها من يدها إلى حيث كانت سيارته مركونة وهو يشعر لأول مرة منذ مجيئه بالسرور لأنه أحضر سيارته معه. فتح لها باب السيارة وأشار إليها بالدخول، وعندما جلس وراء عجلة القيادة سألته: «هل المفاتيح معك، أم أن العفاريت تدير المحرك لك؟».

أدار السيارة وهو يقول: «لا أحد يقفل سيارته في «باليران»، لأن

القديسين يحرسونها لنا».

قهقهت بصوت خافت، تلك الضحكة الرائعة التي طال شوقه لها. وإذ لم يستطع أن يقاوم الرغبة في أن يلمسها وكأنه لا يصدق تماماً أنها حقيقة، مدّ يده يلامس فخذها لكنه كان أكثر حكمة من أن يغامر. لم يشأ أن يفرغ صبر أمه وتخرج للبحث عنه. ويبدو أنها رأت مبلغ انزعاجه وكدره، فأرادت أن تمنحه وقتاً يرتاح فيه، ولكنها ستتوقع منه تفسيراً رغم أنها لن تصدّق كلامه.

انطلق بالسيارة قبل أن يتملكه اليأس. ولحسن الحظ، ورغم هطول المطر في الليل، كانت الأرض تحت سيارته جافة، فلم يصدر أي صوت لعجلات قد يكشفه.

عندما أصبحا بعيدين عن منزل والديه، أنزل زجاج نافذته وأخذ يستنشق هواء القرية النقي. يا إلهي! كان رائعاً أن يشعر بنفسه إنساناً مرة أخرى. لن يفكر في كارين ولن يفكر في ما قد تقوله راشيل حين تراها. إنهما حالياً وحيدان في أرض ريفية مزهرة تجري فيها مياه نهر «الوفريان» من ناحية، ومن الناحية الأخرى المنحدرات الوعرة.

تركا الطريق العام وسلكا طريقاً مهجوراً. وكانا يلمحان أحياناً جراراً يسير بمشقة في حقل، أو حصاناً يجر عربة، لمحا أكواخاً متفرقة. لكنهما، وفي أكثر الأحيان، كانا ينظران إلى بعضهما البعض.

تمتمت راضية وقد وضعت يديها خلف رأسها: «هذا رائع، أنا سعيدة لمجيئي».

قطب جبينه: «أين حقائبك؟».

وأشار إلى كيس صغير وضعته على المقعد الخلفي: «لا يمكن أن تكوني قد وضعت كل أغراضك في هذا؟».

قالت ضاحكة مرة أخرى وهي تقذف حذاءها من قدميها وترفع كعبيها لتريحهما على جلد المقعد الناعم: «لعلي فعلت هذا، الملابس

الداخلية على الأقل».

فقال وهو يتذكر الحقائب الكثيرة التي اعتادا أن يأخذاها معهما كلما ذهبا في عطلة: «والبقية؟ هيا، يا راشيل، أنت تتحدثين معي، هل نسيت؟».

- أعرف هذا. إنها في الفندق.

وألقت عليه نظرة جانبية. كرهت أن تعترف بأنها أمضت الليلة الماضية في فندق في دبلين. لكن، كان عليها أن تتحلى بالشجاعة لتشتري التذكرة إلى ويكسفورد هذا الصباح. لم تعرف كيف سيستقبلها جاك إذا رآها.

- أي فندق؟

قالت كارهة، ذاكرة اسم أقدم وأفخم فنادق دبلين: «فندق غريشام. لم... لم أكن واثقة من أنك تريدني أن أبقى».

- أنت محقة.

وزفر. إنها محقة فهما لم يفترقا على وفاق، حتى أنه لم يحاول الاتصال بها منذ جاء إلى إرلندا، كما أنه غير واثق تماماً مما تريده منه الآن.

عدّلت راشيل جلستها ومدت ذراعها خلفه: «أنت لست غاضباً جداً مني، أليس كذلك؟ الأسابيع الثلاثة الأخيرة كانت الأطول في حياتي».

همست بهذا وهي تعبث بأذنه فاقشعر جسده وقال بصوت أجش وقد توترت يداه على عجلة القيادة: «لا تكوني غبية».

وعندما وجد ما يبحث عنه، دخل بالسيارة من خلال فتحة في السياج ثم أطفأ المحرك وفتح الباب: «هيا بنا، ثمة ما أريدك أن تريه».

حملت حذاءها بيدها وتسلقت المرتفع، ثم وقفت وانتعلت حذائها العالي الكعبين وهي تسأل: «أين نحن؟».

قال متصنعاً الغموض: «سأريك إذا جئت معي».

وأمسك بيدها ثم وقف لحظة ينظر إليها، لينحني بعد ذلك ويقبلها قبل أن يستأنف المسير، بينما راشيل تحاول أن تحافظ على توازنها.

قالت بعد لحظة وهي تسند نفسها على جذع شجرة: «انتظر».

ورفست حذاءها وهي تردف عابسة: «إذا أصبح الطريق عسيراً، فعليك أن تحملني».

رد ساخراً وهو يتصور متعة هذا: «أظن أني قادر على ذلك».

ثم هز رأسه وأضاف: «لكن لا تقلقي فهو ليس بعيداً الآن».

آخر جزء من المنحدر قادهما إلى غابة صغيرة. لم تكن تعلم ما الذي ستراه حتى وصلا إلى هضبة تكسوها الطحالب تشرف على بحيرة تعكس زرقة السماء فوقها. وصولهما جعل سرباً من البط يهرب متفرقاً وهو يرفرف بأجنحته. في الناحية الأخرى من البحيرة، وقفت الأشجار باسقة لتشكّل حاجزاً طبيعياً للريح، فيما بدت بجانب الهضبة آثار لما كان يوماً كنيسة أو معبداً ما أسبغ على الوادي المعشوشب جواً من العزلة المسكونة بالأشباح.

نظرت راشيل من حولها مفتونة: «هذا رائع! ما هذا المكان؟ وكيف اكتشفته؟».

- اسمه «بحيرة القديس ميشيل». أتصور أن الرهبان كانوا يستعملون هذه البحيرة. للشرب، والغسيل، وريّ محاصيلهم. أظنهم كانوا مكتفين ذاتياً.

كان يجلس القرفصاء على ضفة البحيرة فسارت إليه تجلس بجانبه وهي تسأله: «هل كان ذلك ديراً؟».

ونظرت إلى الأحجار المغبرة اللون وهي تقول: «لا بد أنه قديم جداً».

قال وهو يلقي بحصاة وجدها إلى البحيرة: «عدة مئات من السنين على الأقل».

وراح يتأمل الحلقات التي أحدثها وهو يتابع قائلاً: «الماء هنا بصفاء وبرودة الثلج، ويُفترض أن البحيرة تمتلىء من نبع تحت الأرض. لكننا، أنا وأخوتي، لم نعثر عليه قط».

اتسعت عيناها: «هل اعتدت أن تسبح هنا؟».

فأومأ وهو يقتلع قصبة ثم يلويها بأصابعه القوية: «كان جدانا يعيشان في «باليريان»، وقد اعتاد والداي أن يحضرانا إلى هنا في العطلات الصيفية».

- لكن هذا المكان بعيد عن «باليريان».

فقال ضاحكاً: «كان لدينا دراجات. كنا نركبها أميالاً، ولم يكن جدانا يعرفان أين نحن معظم الوقت. كنا نعشق ذلك».

- أراهن على ذلك.

كان الجو في الوادي حاراً لكنها ارتجفت: «جاك، هذه البحيرة تبدو عميقة للغاية. كان يمكن أن تغرقوا».

- الأولاد لا يفكرون في أمر كهذا، كما أننا جميعاً نجيد السباحة. كانت مغامرة، هل تريدين أن تجربي؟.

تراجعت خطوة وهي تحبس أنفاسها: «أتعني السباحة في البحيرة؟».

هز كتفيه: «إذا كنت تجروئين».

فهزت رأسها: «إنها ليست مسألة جرأة، أنت قلت بنفسك إن الأولاد يأتون إلى هنا. ماذا لو رأونا؟».

لم يتكلم بل ألقى بالحصى جانباً ثم أخذ يخلع قميصه المقفل... ووهنت ركبتاها لمرأى جسمه العريض القوي العضلات. كان هذا جنوناً.

توجهت يداها بحركة آلية إلى أزرار سترتها: «سوف... ننزل إلى الماء، أليس كذلك؟ لو جاء أحد ورآنا...».

فقال: «هذا مبدئياً، إلا إذا كان لديك فكرة أفضل».

بدت البحيرة مغرية للغاية، وشعرت بأنه من الأفضل أن تبرد في حالتها العاطفية هذه.

غطس جاك على الفور في البحيرة. وتصاعد رشاش هائل وفاضت المياه لتصدم قدميها الحافيتين. وأخذت تقفز من رجل إلى أخرى فيما أخذت المياه تتراجع... تباً! المياه باردة، وما دام قادر على أن يحتملها فهو ليس مريضاً جداً.

صعد من الماء وهو يبعد شعره المبلل عن عينيه وقد بدا كأحد آلهة الوثنيين، ثم سألها ساخراً: «ماذا تنتظرين؟ هل أنت جبانة؟».

ترددت راشيل لحظة واحدة قبل أن تخلع ثيابها وتضعها بعيداً بحيث لا يصل الماء إليها وتقدمت من حافة البحيرة، ثم أغمضت عينيها داعية الله ألّا يجعلها تبدو حمقاء، قبل أن تقفز في الماء.

بدا وكأنها غاصت إلى الأبد قبل أن تعود فتطفو على سطح الماء. وكانت تشهق من البرد بقدر ما هو من قلة الهواء.

رأت المياه جليدية وكأنها تسبح في القطب الجنوبي. وما كانت لتدهش لو رأت طائر البطريق هنا.

سبح جاك نحوها وهو يبتسم بخبث: «عظيم، أليس كذلك؟ إنه ما تريدينه بالضبط في يوم حار».

وكانت راشيل ترتجف وقد توقفت أسنانها لتوّها عن الاصطكاك: «إذا... إذا كنت تحب هذا. ساقاي منملتان».

- هذا لأنك لا تستعملينهما. هيا بنا، دعينا نسبح إلى الناحية الأخرى، عندما تتحركين ستشعرين بالدفء.

- أتظن هذا؟

لم تقتنع راشيل لكنه هز رأسه وأخذ يسبح مستأنساً بالماء وكأنه في بيته. ورأت أن لا خيار، فملأت رئتيها بالهواء ثم لحقت به. كان

محقاً، فقد شعرت بالدفء بعد أن سبحت ولم تعد ترى الماء بارداً. وتوقفت قربه مستمتعة بالإحساس بالماء على بشرتها، فقال جاك مداعباً: «تصوري شعور الرهبان لو تمكنوا من رؤيتك الآن».

ابتلعت ريقها ونظرت إليه فاقترب منها وشدّها إليه، مستعملاً يده الطليقة ليبقيا عائمين.

كان هذا ممتعاً للغاية، وشعر جاك بحواسه تتحرك مستجيبة... بعدئذ، رفع رأسه وقال: «فلنخرج من البحيرة».

سبحا عائدين إلى حيث تركا ملابسهما، وخرج هو أولاً من الماء ثم مدّ إليها يده يساعدها. وعندما وقفت بجانبه، وقبل أن تسترد أنفاسها، أسند ظهرها إلى الصخور.

كان عناقهما حاراً عنيفاً للغاية. تجاوبت معه فتأوه بجوع وتملك.

وجودهما في هذا المكان أضاف إلى الشعور بالإثارة والحرية الذي يتملكها. فكرة أن جاك عاد جزءاً منها، كان كل ما يهمها. كان رائعاً.

أغمض عينيه يريد أن تدوم هذه اللحظة... لم يرد أن يتركها لكن عليهما أن يعودا إلى «باليريان». لم يكن متحمساً لذلك، لكنه لا يستطيع تأجيل مواجهة هذا النهار اللعين أكثر.

ومع ذلك لم يستطع أن يتصور رد فعل راشيل عندما تجد كارين في بيتهم. وانقلب على ظهره وهو يتأوه بيأس.

- هل أنت بخير، يا جاك؟

مالت عليه على الفور والقلق في عينيها فرفع نفسه على مرفقيه وقال برقة: «ليتنا لا نعود إلى البيت».

- لن يكون الأمر سيئاً إلى هذا الحد. يمكنني أن أمكث حتى يوم الاثنين. وهذا يعني أن أمامنا العطلة الأسبوعية كلها، وسريرك سيكون مريحاً أكثر من هذا المكان بكثير.

تأوه... إنه يريد أن يخبرها... أن ينذرها بما ينتظرهما، لكنه لم

يستطع أن يفسد بهجة هذه اللحظة، وقال: «أنا أحبك، لا تنسي هذا أبداً».

فهمست: «وأنا أيضاً أحبك يا جاك. كم كنت حمقاء».

عندما عادا إلى الكوخ كانت الساعة تقارب الواحدة بعد الظهر، وقد أمضى جاك الرحلة محاولاً أن يجد طريقة يخبرها بها عن كارين. لكن الكلمات لم تخرج من فمه. كيف يمكنه أن يخبر زوجته أن المرأة التي تدعي أنها خليلته جاءت إلى بيتهم من دون دعوة؟ إذا كانت راشيل لم تصدقه من قبل، فلِمَ يتوقع منها أن تصدقه الآن؟

أوقف السيارة في مكانها الأول، لكن عندما أرادت راشيل الترجّل أمسك بيدها: «انتظري، ثمة ما أريد أن أخبرك به».

عبست راشيل، ممزقة بين الرغبة في أن تنتهي من مقابلة حماتها، وبين مظهر الضيق والكدر البادي على ملامح جاك. تملكها الشك في أن لحماتها رأيها الخاص في تصرفاتها! لكنها لم تكن تخفي رأيها في الماضي.

لكن وقبل أن ينطق أحدهما، ظهرت ماغي في الباب. جاءت تستقبلهما بابتسامة مرحبة، وهي تهتف: «حسناً، ها أنت يا راشيل. رأيتك تغادرين معه منذ ساعتين!».

والتفتت إلى ابنها مضيفة: «ما الذي يجري، يا جاك؟ هل تريد أن تحتكرها لنفسك؟».

بدا جاك مذهولاً، وتفهّمت أمه اضطرابه، فعانقت راشيل بسرعة ثم تأبطت ذراع كل منهما وهي تقول: «هيا بنا الآن! أنا وأبوك ننتظرك للغداء، وراشيل طبعاً».

ومنحت كنتها ابتسامة عريضة: «ما أجمل أن أراك، يا عزيزتي! لقد حان الوقت لتأتي وتأخذي رجلك هذا بيدك».

١٠ - لن أدعك وشأنك

عادت راشيل بالطائرة إلى لندن صباح الإثنين، وكان جاك قد أقلّها بسيارته إلى دبلين مساء الأحد حيث أمضيا الليلة في الجناح الذي استأجرته. وكانت ليلة سحرية زاد في تأثيرها سفرها الوشيك. لم تشأ الرحيل، كما أنه أرادها أن تبقى، لكنها كانت ملتزمة بتسليم الكتاب في موعد لا يحتمل التمديد. ولم يشأ أن يفزعها بوصف مبالغ لحال قلبه الصحية، لذا لم يجد من خيار سوى القبول بقرارها.

ودّعها في المطار بشعور مزعج من الخشية، إذ كان لديه الكثير مما يريد أن يخبرها به. الكثير مما لم يقله، رغم أنه اضطر للاعتراف لها بأن الدكتور مور أمره بأن يرتاح. لم يتحدّث إليها عن الفحوصات التي أجريت له في المستشفى في بلايموث، وهي لا تزال تعتقد أنه سيعود إلى البيت بعد اسبوع أو نحو ذلك.

كان جاك يعلم أنها ترجو أن يحزم أمتعته ويعود معها رغم أنها لم تقل ذلك. وقد تملكه فعلاً هذا الإغراء، فعودة المياه إلى مجاريها مع راشيل هو أهم شيء في حياته. لكن أمه تملكها الفزع لما أسرّه إليها عن حالته، فأقنعته بأنه من الحماقة ألّا يمتثل لأوامر طبيبه.

وبعد الطريقة التي تصرفت فيها أمه مع كارين، وجد نفسه مرغماً على الأخذ بنصيحتها. ويبدو أن أمه، بدلاً من أن تصدق قصتها، قالت لها بحزم إن ابنها قال إن جنينها ليس ابنه، وهذا يعني أنه ليس ابنه. وانتهت القصة.

www.rewity.com

لم يسمع كل تفاصيل نقاشهما بعد، لكن أمه اتصلت بشركة لسيارات الأجرة وطلبت سيارة لتنقل كارين إلى محطة «ويكسفورد».

- لقد أعطيتها أجرة العودة إلى دبلين وهذا أكثر مما تستحق.

وبعد أن اختلى بها في المطبخ بعد الغداء أخبرته: «لا يمكننا أن نتحدث عن هذا الآن. لكني أكّدت لها أنني لا أسمح لشيء يسيء إلى السمعة كهذا بدخول بيتي».

تملكت جاك الحيرة، وشعر بالعرفان: «وهكذا ذهبت؟».

فأجابت أمه بزهو: «لم يكن لديها خيار آخر، أنا واثقة من أنك تخلّصت منها».

تمنى جاك لو يستطيع أن يصدق هذا، لكن عندما أراد أن يقول ذلك، هزت أمه رأسها بحدة تنبّهه إلى أنهما لم يعودا بمفردهما. كانت راشيل خلفه عند العتبة وقد رفعت حاجبيها مستفسرة: «هل من خطب ما؟».

فهتفت والدة جاك وهي تجفف يديها بالمنشفة: «أبداً! كان جاك يخبرني لتوّه أنك باقية».

- هل في ذلك مشكلة؟

فابتسمت الأم: «مرحباً بك هنا في أي وقت يا راشيل، وعليك أن تعلمي هذا».

ثم ألقت على ابنها نظرة تحذير وأضافت: «أظنكما استمتعتما بوقتكما هذا الصباح. جاك رجل محظوظ يفترض به أن يقدّر ذلك».

تأبطت راشيل ذراع جاك وردّت بلهجة لا تدع مجالاً للشك في أنها تعني ما تقول: «أنا واثقة من أنه يقدّر ذلك».

وألقت الأم مرة أخرى نظرة ذات معنى على ابنها، وقالت: «أنا مسرورة لأنكما عدتما إلى رشدكما أخيراً. لا تدعا أي شيء أو أي شخص يتدخّل بينكما».

كان هذا عصر يوم الجمعة. لكنه الآن، وبعد رحيل زوجته، لم يستطع إلا أن يتمنى لو أنه أخبرها عن زيارة كارين. ما قالته أمه له عن عدم المخاطرة جيد، لكنها لا تعرف كارين كما يعرفها هو، فكارين عديمة الضمير والأخلاق، وهي تبدو مصممة على تدمير زواجه. إذا كان لديه ذرّة عقل، فعليه أن يعود إلى إنكلترا في أسرع وقت ممكن.

لكن عندما فاتح أمه بالموضوع، أخبرته أنه مجنون لتفكيره هذا، قائلة: «قبل أن تأتي كارين، كنت أعجب لاستمرار خلافاتكما الزوجية أنت وراشيل. أظن أنّ لدي فكرة عن سبب ما كانت راشيل تعانيه. بعد إجهاضها ثلاث مرات، أظنها أصبحت خائفة من أن تحمل مرة أخرى. ورغم أننا لا نوافقها على تجنبها معاشرتك، إلّا أنّ هذا حصل منذ عامين تقريباً. ظننتكما تصالحتما واستقرت أموركما. وعندما جاءت تلك المرأة لزيارتي، أدركت السبب الذي جعل راشيل تبقى في إنكلترا وأنت هنا وحدك».

- الأمر ليس بهذه البساطة، يا أمي...

- كلامك صحيح، ولكن استمع إليّ يا جاك. أولاً، هل أنت على علاقة بتلك المرأة؟

- بكارين؟ كلا بالطبع.

- لكن راشيل تظن العكس؟

- ربما.

عبست الأم: «لا بأس. لِمَ تظن تلك المرأة أنك والد الطفل؟».

- لا أدري.

- إنها تقول إنك على علاقة بها، قالت إن هذا حصل ذات ليلة عندما أمضيت الليلة عندها.

تكلّمت الأم بهدوء لم يتوقعه فتأوه ثم قال: «أنت تعلمين ما كان يحدث. كنت أشعر بالضعف طوال الأمسية، لم أشأ أن أعترف لها

بحالتي تلك، ولا أذكر بالضبط ما حدث. كنا واقفين عند بابها لنودّع بعضنا البعض، فشعرت بدوار بالغ. حاولت أن آخذ نبضي، لكنني لم أجد النبض. وعندما استعدت وعيي كنت ممدداً على أريكة في بيتها».

- ملابسك عليك؟

توترت شفتاه: «معظمها».

- ما معنى هذا؟

احمر وجهه: «يعني أنها خلعت عني سترتي وأرخت ربطة عنقي».

- وماذا عن سروالك؟

- كنت ما أزال أرتدي سروالي. ما هذا يا أمي؟ ما الذي تريدين أن تصلي إليه؟ أنني مارست الجنس معها من دون أن أدري؟

كانت نبرته ساخطة، فرفعت حاجبيها: «هذا ممكن».

- كلا، بالله عليك، ظننتك صدقتني.

- أنا أصدقك، لكنني لا أنكر أنني أريد أن أعرف الحقائق كلها.

- لا بأس.

فقالت مستنكرة: «ولكن لماذا خرجت معها؟ أنت رجل متزوج يا جاك، ما الذي جعلك تخرج مع امرأة مثلها؟».

- إنها مرة واحدة فقط. كنت حينها أشعر باكتئاب شديد. وأنا وراشيل... حسناً، كنا قد قطعنا علاقتنا ببعضنا البعض، وهذا جزء من المشكلة، كما أظن، فرحت أعمل في كل دقيقة من النهار... وشعرت بأنني بحاجة إلى من أتحدث إليه.

- ولِمَ هي بالذات؟

- لا أدري، لأنها كانت موجودة، كما أظن.. وعندما أعود بتفكيري إلى الوراء، أدرك أنها كانت دوماً قرب مكتب ميرنا، حتى ظننتهما صديقتين. لكنها في الواقع، كانت تريد أن تراني أنا.

- وماذا حدث؟ دعوتها على العشاء؟

- نعم، وكل تلك الملاحقات، والمضايقات، والاتصالات الهاتفية، نتيجة أمسية واحدة.

- قالت إنك طردتها من العمل لأنك تعبت منها.

فتأوه: «اعلمي أني لست أنا من طردها من العمل بل جورج. كانت تعمل في مكتب جورج وليس مكتبي، وقد قال إنها عديمة الفائدة».

- وبعد أن طردت، ابتدأت تزعجك؟

أطلق جاك ضحكة لا بهجة فيها: «تزعجني؟ تجاوز الأمر الازعاج. أخذت تلازم موقف السيارات، كانت تعرف موعد خروجي من العمل مساءاً، فتنتظرني».

- لكن لِمَ أنت؟ لماذا ليس جورج توماس؟

- لأنه ليس من الحماقة بحيث يخرج معها، كما أظن. أخذت تخبرني كم افتقدت المكتب، وأنها تعيسة لأنها لم تجد عملاً آخر. وشعرت بالأسف من أجلها، لكنني لم أقل ما يشجعها على التفكير في أنني أريد أن أراها مرة أخرى. وعندما لم ينجح التملق والتوسل، راحت تهددني. قالت إنها إذا لم أوافق على رؤيتها، فستخبر راشيل بأننا على علاقة.

- آه، يا جاك!

- لم تفعل ذلك، حينذاك، فظننتها تخيفني. لكن عندما لم أعد أجيب على اتصالاتها، ذهبت إلى بيتي.

سألته أمه بذعر: «إلى بيتك؟ وتحدثت إلى راشيل؟».

فأومأ: «نعم، وأخبرتها بأنني أريد الطلاق لأننا سننجب طفلاً».

- راشيل إذن تعلم عنها؟

فقال بفتور: «نعم، إنها تعلم».

- وهل صدقتها؟

قال بصدق، عالماً أنه لن يخبر أمه قط بما فعلته راشيل تلك الليلة:

«لست واثقاً من ذلك».

- لكنها جاءت إلى هنا وهذا يعني أنها تصدقك؟

- هذا ما ظننته، لكنني لست واثقاً.

- لا بد أن هذه المرأة مجنونة!

- تقريباً.

هزت رأسها: «هذا أمر لا يصدّق، ولكن لماذا اختارتك أنت؟ هل تعلم أن ثمة مشاكل بينك وبين زوجتك؟».

تمنى لو أنه لا يخوض في هذا الموضوع... فقد كان مزعجاً للغاية لكنه قال: «ربما. أنا واثق من أنها تعلم أن راشيل أجهضت أكثر من مرة. كنت أخبر الجميع أنني سأصبح أباً. يا إلهي! ليتني لم أدعها للخروج معي، لا بد أنني كنت مجنوناً».

راحت أمه تفكر في كلامه، وقالت: «هممم... بدأت أفهم، ما من امرأة أضعف أمام الابتزاز العاطفي، من امرأة خسرت طفلاً. وأن تدّعي كارين أنها حامل بطفلك فكرة ماكرة».

فقال جاك وقد بدا عليه الإجهاد فجأة: «على أيّ حال، جميل منك ألّا تعتقدي أنها وقعت في غرامي».

فهتفت أمه بفروغ صبر: «لقد وقعت في غرامك طبعاً، وهذا لا يحتاج إلى كلام. ألست نسخة عن أبيك؟ وهو ما زال وسيماً رغم السنين».

وسكتت لحظة ثم عادت تقول: «من أشار عليك بأن تخرج معها؟».

فعبس: «لا أحد، كما أظن».

- هل أنت واثق من ذلك؟

- كما سبق وقلت، كانت تتسكع دوماً قرب مكاتبي. لا أتذكر كيف وصلت إلى حدّ أن أطلب هذا منها. لعل جورج اقترح ذلك. كان يعلم أنني أشعر باكتئاب، لا أدري.

- هيا... من يمكن أن يكون والد الطفل؟

فوجىء بسؤالها: «وكيف أعلم هذا بحق جهنم؟».

- ولكن لا بد أنك فكرت في ذلك؟

فقال صادقاً: «كلا. في الواقع، كنت من الانشغال بالتملص من أكاذيب كارين بحيث لم أفكر في من عساه يكون والد الطفل».

- عليك إذن أن تفكر في ذلك يا جاك، فقد يكون شخصاً تعرفه.

فقال مشككاً: «قد يكون أي شخص».

- لا أظن ذلك. ألا تعلم أنّ العالم صغير؟ الفضيحة تلتصق دوماً بالبيت برأيي.

- نعم، لا بأس.

لم يجد معنى للشجار حول الشكوك الآن. أي كان والد الطفل، فمن غير الممكن أن يعترف بذلك.

لم تشأ أمه أن تترك الموضوع عند هذا الحد، فعادت تقول: «هل يمكن أن يكون أحد الموظفين؟»

تنهد: «كما سبق وقلت، من الممكن أن يكون أي شخص، في مكتب الشركة في بلايموث مئة موظف».

- أنت قلت إن كارين كانت تعمل في مكتب جورج توماس، فهل من شخص ما يمكنها أن تتورط معه؟

- أمي!

- ماذا عن جورج؟ إنه لا يكبرك كثيراً، أليس كذلك؟

فقال غير مصدق: «جورج! أمي، جورج متزوج وله ثلاث بنات مراهقات. لم أره ينظر إلى امرأة قط طيلة فترة عملي معه».

هزت أمه كتفيها: «حسناً، كارين لجوجة، وأنت تعلم هذا، وهي من النساء اللاتي يجذبن نوعاً معيناً من الرجال».

- دعي عنك هذا، يا أمي.

- أنت تعرف النوع الذي أعنيه، الرجال الذين تعجبهم النساء المكتنزات، حمراوات الشعر، ذوات الصدور الكبيرة.

لم يستطع أن يكبت ابتسامة أسف: «أعجبتك، أليس كذلك؟».

- لا، لم تعجبني على الإطلاق، يبدو عليها بوضوح مدى حبها للمال. إذا شئت رأيي، فإنها تتوقع منك أن تتخلص منها بمبلغ من المال. إنها تعلم أنك لا تستطيع أن تثبت شيئاً قبل ولادة الطفل.

فحدق جاك فيها: «أتقولين إن عليَّ أن أدفع لها مبلغاً لأتخلص منها؟».

فأجابت باستياء: «كلا، أنا لا أقول هذا، لكنني أريدك أن تفكر قليلاً في ذلك، إذا لم يكن جورج توماس هو المسؤول فمن يكون إذن؟».

أمضت راشيل الأسبوع التالي في وضع رسوم كتاب «بنجبي» الحالي. لقد تأخرت عن موعد التسليم وهي تجد صعوبة في التركيز بسبب كثرة ما يشغل بالها.

جاءت رحلتها إلى إرلندا فجائية، لكنها مسرورة لأنها قامت بها. تمنت فقط لو لم تضطر إلى العودة وحدها فهذا لم يكن جزءاً من خطتها بكل تأكيد.

ربما ما كانت لتقوم بتلك الرحلة لو أن جورج توماس لم يقترح ذلك عليها. عندما لم يتصل بها جاك، اتصلت بمدير الشركة وسألته إن كان يعلم بموعد عودة زوجها. فجاء رده غامضاً بعض الشيء، وساورها شعور بأن جاك لم يخبره هو أيضاً. لكنه أكّد لها أن جاك مكتئب، بقدر ما هو متقد شوقاً. كان واثقاً من أن جاك سيسر جداً برؤيتها، وقد أثبتت الأحداث أنه على حق.

لكن، بعد أن عادت إلى انكلترا، عاودتها مخاوفها. لا بأس، لقد

تقبلت فكرة أنّ جاك منهك صحياً، لكنه لم يبدُ لها مكتئباً. هل رؤيته لها أنعشته نفسياً؟ أم أنه يشعر بتحسن؟ وإذا كان الأمر كذلك، فلِمَ لم يعد معها؟

سمعت طرقاً على باب الاستديو فالتفتت بلهفة، راجية أن تكون الفكرة نفسه قد راودته. لكنها رأت مدبرة المنزل وعلى وجهها نظرة اعتذار: «أردت أن أعلمك فقط أنني ذاهبة إلى القرية، يا سيدة ريوردان. سأقصد مكتب البريد لكنني لن أتأخر. هل أحضر لك شيئاً معي؟».

فكرت بكآبة في أنها تريد زوجها فقط، لكنها قالت باسمة: «أنا بخير، يا سيدة غريدي. أرجو فقط أن أنهي هذا الفصل في غضون ساعة، ثم أسترخي قليلاً في حوض الاستحمام».

ابتسمت مدبرة المنزل: «هذا سيفيدك، أراك لاحقاً».

- أرجو ذلك.

عادت مدبرة المنزل إلى البيت، وتنهدت راشيل وعاودت الرسم. لديها كثير من العمل عليها أن تنهيه قبل أن ترتاح.

لا بد أن الساعة شارفت على العاشرة عندما شعرت مرة أخرى بأنها لم تعد وحدها. ولم يكن هذا شعوراً حسناً هذه المرة. أملت بأن تكون مدبرة المنزل قد أقفلت البوابة خلفها فمنذ غزوة كارين غير المرغوب فيها وسفر جاك إلى إرلندا، أصبحت راشيل تقلق على وضعها الأمني.

ما هذا الشعور الغريب؟ وبعد أن أخطأت في مزج الألوان، وأراقت الماء على إحدى رسومها المنتهية، ألقت بفرشاة الرسم بعيداً باشمئزاز. ستنهي هذا الفصل غداً. جاك ليس الوحيد المكتئب.

وعادت تلتقط الفرشاة لتغسلها مع الفراشي الأخرى قبل أن تقفل الاستديو. ما تلف من رسوم لا يمكن إصلاحه لكنه سيجف أثناء الليل، وسيكون شعورها إيجابياً في الصباح بعد أن تنام جيداً.

كانت تقفل باب الاستديو حين رأت كارين جونسون. كانت المرأة تستند إلى الجدار المنخفض الذي يحيط بالفناء. ورغم أن الطقس كان بارداً ومنعشاً، إلا أن وجه كارين بدا متوهجاً. وعندما توجهت راشيل نحوها، وقفت. حاولت راشيل أن تتجاهل مظهر بطنها، لكنه كان نافراً بشكل ملفت للنظر.

قالت كارين وهي تلهث قليلاً: «مرحباً يا راشيل، لم أرك منذ مدة طويلة».

فأجابت راشيل بخشونة: «ليست طويلة كثيراً. كيف دخلت؟».

شخرت قائلة: «لماذا؟ لأنك تقفلين بابك دوماً؟ هل نسيت أنني كنت هنا من قبل؟ لاحظت أن ظهر البيت إلى الخليج، ففكرت في أنّ ثمة طريق تستعملونه للصعود إلى البيت من الشاطىء. وكنت على حق».

حملقت راشيل فيها: «هل صعدت من الخليج؟».

لا عجب في توهج وجه كارين، فالطريق صعب. وأخذت كارين تهوّي على وجهها بيد مرتجفة: «كنت مضطرة إلى ذلك. رأيت مدبرة بيتك تخرج لكنها أغلقت البوابة خلفها فأدركت أن ليس بإمكاني أن أتسلق السور. وهكذا، عدت بسيارتي إلى القرية».

وابتسمت بزهو: «أنت لست في أمان تام، أليس كذلك؟».

اعترفت راشيل في سرّها بأنها محقة. إذا تمكنت كارين من أن تصعد الدرجات من الخليج، فيمكن لأي شخص آخر أن يفعل ذلك.

قالت: «على أيّ حال، لقد أضعت وقتك سدى، فليس في نيتي أن أتحدث معك. وإذا كنت تبحثين عن جاك، فهو ليس هنا».

فقالت كارين باستخفاف: «أعرف هذا، وكأنني لم أمكث الأسابيع القليلة معه في «باليريان»، أنت لا تصدقينني أليس كذلك؟».

وهزت رأسها وكأن التعبير الذي بدا على وجه راشيل يسلّيها، ثم

بحثت في حقيبة يدها وأخرجت تذكرة سفر: «انظري إلى هذه، إنها بطاقة سفر إلى دبلين، اشتريتها منذ أسبوع واحد فقط، وهو اليوم الذي وصلت أنت فيه فدمّرت كل شيء».

www.rewity.com RAYAHEEN

١١ - رحلة إلى عالم النسيان

- أنا لا أصدقك.

كانت كلمات راشيل واضحة ومقنعة، لكنها، في أعماقها، تساءلت عما إذا كانت تعني هذه الكلمات حقاً.

لكن كارين تعلم أن كذبها سينكشف بعد أشهر، إذا كان ما تقوله كذباً. ثمة فحص يمكن إجراءه ليتأكدوا مما إذا كان جاك هو حقاً والد الطفل. لِمَ تصرّ على هذه المهزلة بينما لا مستقبل لادعائها؟

- أنظري إلى التذكرة، أنظري إليها!

راحت كارين تهز التذكرة أمام وجهها، وتحثها بلهجة هائجة، فاستجابت راشيل. كانت التذكرة لشخص واحد من ويكسفورد إلى دبلين، على متن القطار نفسه الذي استقلته هي في اتجاهها المعاكس، وفي التاريخ نفسه الذي وصلت فيه إلى باليريان. لكن ماذا يثبت هذا في الواقع؟ فقط أن كارين كانت هناك.

وتشنّجت معدتها. لماذا قطعت كارين تذكرة إلى دبلين كما تثبت هذه التذكرة؟ وكم من الوقت بقيت في باليريان؟ وماذا كانت تفعل هناك؟ وهل التذكرة لشخص واحد لأنها سافرت مع جاك في سيارته؟

يا إلهي... وشعرت راشيل بالغثيان. لا بد أن كارين رأت جاك، ولم يذكر لها ذلك مرة أخرى. ما الأسرار التي يخفيها عنها؟ وهل هذا هو السبب الحقيقي الذي منعه من العودة إلى بيته؟

وعاودتها صورته وهو يقف خارج البيت عند وصولها. بدا مريضاً،

شاحباً والعرق يسيل منه، والشعور بالذنب يرتسم في عينيه. لِمَ لم يتملكها الشك، حينذاك؟ لماذا سمحت له بأن يهرب بها بعيداً بقية الصباح؟ لعله رآها قادمة فترك لوالديه مهمة إخراج كارين من البيت قبل أن تعود هي وجاك.

كلا!

وخنقت صرخة معذبة كادت تندفع من بين شفتيها. لم تستطع أن تصدق أن الرجل الذي بدا عليه السرور البالغ لرؤيتها، والذي أخذها إلى ذلك المكان الساحر، يعيش حياة أخرى سرية. هذا ليس صحيحاً، ليس لدى جاك ما يثقل ضميره. يمكنها أن تقسم على ذلك، ولن تسمح لكارين بأن تنتصر عليها مرة أخرى.

قالت وهي تقذف بالتذكرة على طاولة قريبة: «هذه لا تعني شيئاً. أنت تضيعين وقتك يا كارين، أنا أحب زوجي وهو يحبني».

فقالت كارين بازدراء: «أهذا ما تظنينه؟ أتساءل عما عليّ أن أفعل لأجعلك تصدقينني. ربما عليّ أن أصف بيت والديه. دعيني أتذكر، نعم. ثمة ردهة ضيقة تمتد من أمام البيت إلى المطبخ. طلاء غرفة الإستقبال أبيض اللون، وهو يحتوي على الكثير من الطاولات الصغيرة التي تعلوها تحف صغيرة رخيصة. والدة جاك تحب هذه الأشياء، ولديها أباريق من الخزف جميلة جداً. أنا أحبها جداً، ووالد جاك يشبهه تماماً، أليس كذلك؟ لقد رحبا بي، إلى حد بالغ».

وبشكل ما، وجدت راشيل الشجاعة لتجيب: «أنا لا أصدقك، هل تظنين حقاً أن قدرتك على وصف الكوخ، تثبت شيئاً؟ صدقيني يا كارين، أي بائع متجوّل يمكنه أن يصف هذا كله».

وضحكت ساخرة بينما اكفهر وجه كارين بشكل ينذر بالخطر، وهي تقول باستماتة: «لا يمكنك أن تفعلي هذا، لا يمكنك أن تبقي عمياء عما يحدث».

– ما من شيء يحدث، والآن أريدك أن تذهبي، وسأفتح البوابة لك. فأنا لا أريدك أن تسقطي من فوق الصخور.

هزت كارين رأسها جلست على كرسي وقالت: «أشعر بغثيان، لقد عطشت بعد صعودي تلك الدرجات، وأريد أن أشرب من فضلك. لا يمكنك أن تحرميني من كأس ماء».

هزت راشيل رأسها. بدا واضحاً أن كارين منزعجة للغاية، ولعل المرأة في وضعها تتعرق أكثر من غيرها. وأخيراً أذعنت قائلة: «لا بأس... انتظري هنا وسأحضر لك الماء».

لم تشأ أن تفتح باب غرفة الإستقبال، مجازفة بأن تحتل كارين المكان مرة أخرى، فتجنبت أصص النبات والأزهار التي فاح عطرها في الجو، وأسرعت إلى المطبخ.

لم تغب سوى دقيقتين، لكن عندما عادت إلى الفناء لم تجد أحداً. أخذت تنظر حولها عابسة، لكنها لم تجد أيّ أثر لكارين. هل ذهبت؟ لم تصدق كارين حسن الحظ هذا. لكن الطريق الوحيد الذي يمكنها سلوكه هو طريق الجرف الصخري فوضعت كأس الماء على الطاولة، ثم خرجت من البوابة التي تؤدي إلى الصخور.

كان الجرف الصخري المنحدر نحو الشاطىء خالياً، لكن كارين لم يكن لديها الوقت الكافي لتصل إلى الشاطىء. وباستثناء رجل ينزه كلبه، بدا الشاطىء خالياً تماماً، بدا وكأن المرأة اختفت من الوجود.

وفيما وقفت حائرة، إذا بها تشعر بهبة من الهواء خلف ذراعيها العاريتين وصوت نفس ثقيل خلفها. وفي اللحظة التالية لطمتها يد على أسفل ظهرها ففقدت توازنها على الفور. وقبل أن تتمالك نفسها، تلقت ضربة أخرى ألقت بها من فوق الجرف الصخري المنحدر إلى الشاطىء. لكن الشجيرات والنباتات أعاقت سقوطها، فتشبثت بها. إلّا أنّ هذه لم تكن من القوة بحيث تمنعها من السقوط، فجاءت النتيجة

خدوشاً وراحتين داميتين، وتورماً في جبهتها.

وجاء خلاصها من حيث لم تتوقع. كانت، في الواقع، قد تخلت عن الأمل في إنقاذ نفسها، لكن ذهنها رفض تقبّل صورة جسدها ممدداً على الرمال في الأسفل، فتشبثت بجذع شجرة نابتة من شق في الجرف وشعرت بتنمل في راحتيها، كما توقف ذهنها عن التفكير واستعدت للموت.

إلّا أنّ قبضة قوية شدتها من حزامها ما خطف أنفاسها، وأعادت ذهنها إلى واقعها. وبمعجزة ما، توقفت رحلتها إلى عالم النسيان. كيف حصل ذلك؟ لم تعرف. فهي لم تسقط لتتهشم على الأرض، وأدركت، والدموع تعمي عينيها، أنها معلقة فوق الشاطىء.

شهقت محاولة أن تتنفس، وأن تفهم ما حدث. شعرت وكأن ثمة من جذبها بحبلٍ، لكنها أدركت أن هذا ليس هو الجواب. ومع ذلك ثمة من يضغط على خصرها يمنعها من السقوط. حاولت أن تنظر إلى الأسفل لترى منقذها لكنها لم تجرؤ كيلا تعود فتسقط مرة أخرى.

وسمعت صيحة، فتملكها الذعر. وبعد أن عاد ذهنها إلى العمل، ظنت أن كارين تهبط الدرجات لتنهي ما ابتدأت به، ما جعلها تصرخ ذعراً.

لكن هذا صوت رجل، رجل ينصحها بألّا تتحرك حتى يصل إليها. كان يصعد إليها من أسفل. وتملكها الارتياح وهي ترى أنه الرجل نفسه الذي رأته ينزّه كلبه على الشاطىء.

كانت ماغي ريوردان قد دخلت إلى غرفة النوم حيث يحزم ابنها أمتعته، فقالت ساخطة: «حسناً... أظنك مجنوناً».

وأجاب: «أعلم هذا».

تابع جاك ما كان يفعله، وهو ينظر إلى أمه بأسف راجياً أن تدرك أن

عليه أن يعود إلى بيته مهما قالت. وكان قد حجز مكاناً لسيارته في المعدية في الصباح التالي مصمماً على أن ينهض باكراً ليقودها إلى «روسلير».

لم تتصل به راشيل منذ رحلت منذ أسبوعين، وكل مخابرة أجراها ردّ عليه المجيب الآلي. . . وشعر بالقلق.

فكر في الاتصال بمدبرة المنزل، لكن كبرياءه وعدم رغبته في إقحام مدبرة المنزل في شؤونهما منعاه من أن يفعل هذا. لعل راشيل لم تخبر مدبرة المنزل عما حدث عندما جاءت إلى إرلندا، ما جعله يشعر بالحرج من أن يخبر المرأة بأن الجفاء الذي طال بينهما ذهب إلى غير رجعة.

أم أن هذا غير صحيح؟ أليس هذا هو السبب الحقيقي الذي دفعه إلى حزم أمتعته للعودة؟ فهو لا يصدق أنهما تخلصا من كارين؟

ظهر أبوه خلف أمه فوضع على كتفها يده مهدئاً، وهو يقول: «دعيه، يا ماغي. جاك أدرى بشؤونه الخاصة منا نحن».

فقالت زوجته بإحباط: «لكنه هنا منذ خمسة أسابيع فقط؟ أنت تعلم أن الطبيب نصحه بالتغيّب عن العمل ستة أشهر».

تدخل جاك قائلاً: «هلّا توقفتما عن التحدّث عني وكأنني غير موجود في الغرفة؟ كما أنني لم أقل إنني عائد إلى العمل. في الواقع، كنت أفكر في إجراء بعض التغيير عند عودتي. سأجعل أحدهم ينوب عني في العمل، وبهذا يمكنني أن أمضي مع راشيل مزيداً من الوقت».

- هذا أحسن ما سمعته منك.

ودخلت أمه إلى الغرفة ثم ضربت يده تدفعها بعيداً عن حقيبته، مضيفة: «دعني أفعل هذا بنفسي. يا للرجال! إنهم لا يعرفون كيف يحزمون ثيابهم».

تبادل الأب ابتسامة مع إبنه، ثم قال وهو يستند إلى الباب: «ألا تفكر في شراء بيت ثانٍ لكما في هذه القرية؟ ما زال «ريان هاوس» خالياً

منذ ثلاث سنوات. إنه بحاجة إلى إصلاحات، لكن لديك المال الكافي لجعله صالحاً للسكن».

حدّق جاك في أبيه: «ريان هاوس؟ لكنه منزل مهجور».

- هذا صحيح. ولكن أليس هذا هو نوع العمل الذي تقوم به؟ أعلم أنك مهندس معماري، يا جاك، وأنك لم تتعود تلطيخ يديك، لكنني لا أرى مشروعاً أفضل من هذا يبعد عنك الملل.

أوشك جاك أن يقول إن المنزل أكبر من أن يصلح له ولراشيل لكنه امتنع عن ذلك. لعله أكبر مما ينبغي، لكن فكرة تجديده راقت له. وسأل أباه عن المبلغ الذي يطلبه أصحابه ثمناً له، وعندما أجابه أبوه، تملكته الدهشة وقال مسروراً: «لعلك مصيب في هذا يا أبي. سأفكر في ذلك طبعاً كما أن عليَّ أن أتحدث إلى راشيل أولاً. لكنها فكرة جيدة».

وشغل هذا الموضوع ذهنه حتى الصباح وهو يقود سيارته إلى العبّارة المزدحمة. لم يعرف ما سيكون رأي راشيل في ذلك، لكنها تستطيع أن تعمل في أي مكان تقريباً.

الأسابيع التي أمضاها في باليريان لم تخلّصه تماماً من ذلك الخفقان العنيف الذي يصيب قلبه أحياناً، مصحوباً بالدوار والغثيان. لكنه لم يشعر بالدوار منذ ذلك الصباح الذي جاءت فيه راشيل وكارين. وما حدث بعد ذلك أفاده بكل تأكيد. لقد شعر بتحسن بمعدل سبعين بالمئة، وهي نتيجة جيدة إذ لم يمضِ سوى أسابيع معدودة بعيداً عن عمله، بدلاً من الأشهر الستة التي نصح بها الطبيب.

كانت العبّارة سريعة، فلم يطل الوقت حتى وصل إلى وجهته ثم توجه إلى الوطن. توقف عند العصر لشراء زجاجة ماء، وحاول أن يتصل براشيل لكنه لم يتلق جواباً. وحاول جاهداً ألّا يستسلم للقلق، محدثاً نفسه بأنه سيلقاها قريباً، وأنه من الأفضل أن يتحدثا لأول مرة وجهاً لوجه.

لكن، وبعد أن مرّ ببلدة «إكسيتر» وتوجّه إلى «ماركت أباس»، أدرك أنه لم يستعد صحته، كما كان يظن. لقد وجد صعوبة بالغة في أن يبقي عينيه مفتوحتين كما تملكه الإنهاك.

أدرك أنه تصرّف بحماقة حين قاد سيارته هذه المسافة كلها، وأنه كان عليه أن يفكر في ذلك عندما قرر العودة إلى الوطن.

وصل إلى «ماركت أباس» عند الغروب. كانت القرية المؤلفة من شارع رئيسي وبعض الشوارع الصغيرة المتفرعة خالية تقريباً والمحال القليلة مقفلة بالطبع. منذ سنوات خلت، كان هو وراشيل، يتمشيان في أمسيات الصيف ليستمتعا بشرب العصير على شرفة مقهى «شيب إن» المطل على البحر.

أخذ جاك يقود سيارته بعناد، متلهفاً للوصول إلى هدفه. كان الدوار يتملكه لأنه مرهق للغاية، وتلهف للخروج من السيارة.

كانت بوابة المنزل مقفلة. وأدرك أنه كان عليه أن يتصل مسبقاً. ولهذا، كان عليه أن يترجل من السيارة ويعلن عن نفسه عبر الجهاز لأنه لا يحمل معه المفتاح. وعندما ضغط الزر أجابت مدبرة المنزل: «السيد ريوردان!».

بدا في صوتها القلق والتوتر. أم أن ذهنه صوّر له ذلك؟ وتابعت المرأة تقول: «ما الذي جاء بك؟».

فقال بفروغ صبر: «لكنني أعيش هنا. هل لك أن تفتحي البوابة بدلاً من طرح هذه الأسئلة؟ أنا مرهق للغاية وليس لدي وقت لهذا، أريد أن أستلقي على سريري».

- حسناً... المفروض... في ظرف كهذا...

كانت مدبرة المنزل متوترة للغاية، ولم يعرف جاك السبب. ما الذي قالته راشيل لها؟ يبدو وكأنه غير مرحّب به في بيته. وعندما أوشك أن يفقد أعصابه، تحركت البوابة فتنهد ارتياحاً، وعاد إلى سيارته. أين

راشيل بحق جهنم؟ كان عليه أن يتصل مسبقاً. كان عليه أن يفعل ذلك لو ارتاب في عدم وجودها هنا.

أوقف السيارة بجانب الباب ثم أخرج حقيبته من صندوقها فيما وقفت مدبرة المنزل على الدرجات. كانت تعصر يديها كعادتها حين تكون قلقة، وعندما وضع جاك حقيبته الثقيلة على كتفه كاد يفقد توازنه، فسألته: «هل بإمكاني المساعدة؟ آه...».

وحملقت فيه بقلق واضح مضيفة: «تبدو متعباً للغاية. هيا... دعني أمسك بذراعك».

- يمكنني أن أتدبر الأمر.

بالرغم من شعوره بالإرهاق، إلّا أنه لم يشأ أن تسنده امرأة، فأقفل السيارة، ثم أخذ يصعد الدرجات الثلاث المؤدية إلى المدخل المسقوف حيث أحواض الزهور تضفي ألواناً رائعة على الجدران. لكن جاك لم يلحظ ذلك وهو يدخل البيت، ثم نظر إلى مدبرة المنزل وسألها وهو يواصل السير نحو غرفة الاستقبال: «أين زوجتي؟».

سمع مدبرة المنزل تتنفس بعمق، ثم تقول بهدوء: «ليست هنا، يا سيد ريوردان».

- ليست هنا؟

وضع حقيبته على الأرض، وجلس على ذراع إحدى الأرائك، ثم سألها: «أين هي؟».

- إنها... إنها تقيم مع الآنسة روباردز، يا سيد ريوردان.

كانت مدبرة المنزل تقف عند عتبة الباب، وأضافت متمهلة: «منذ... منذ الحادث».

قال مصدوماً رغم همومه الشخصية: «أي حادث؟ تباً! لم أعلم أنها تعرضت لحادث، لماذا لم تخبرني راشيل؟».

أجابت المرأة بتعاسة: «زوجتك هي التي تعرضت للحادث وليس

لوسي روباردز».

فهتف بذعر: «راشيل؟ يا إلهي، لماذا لم يخبرني أحد؟».

قالت المرأة بسرعة: «أردت أنا أن أبلغك».

وهمّ أن يصرخ بها لماذا لم تفعل ذلك، لكنه تركها تكمل كلامها: «حسناً، لكن الناس قالوا...».

سألها غاضباً: «من؟ ما الذي تتحدثين عنه؟».

فأجابت: «قال السيد توماس إنّ علينا ألّا نعرضك للقلق من دون مبرر...».

- كان على جورج أن يهتم بشؤونه الخاصة القذرة.

- وكذلك الآنسة لوسي روباردز...

فزمجر بوجه مظلم: «تلك المرأة... والآن، ماذا حدث؟ هل كان حادث سيارة؟».

بدا عدم الارتياح على وجه مدبرة المنزل: «لا، لا أظن أن مركزي يسمح لي بأن أخبرك بما حدث. كل ما يمكنني أن أقوله هو أن السيدة ريوردان كانت محظوظة لأنّ إصابتها ليست خطرة».

هبطت كتفا جاك ومسح العرق عن جبينه. ورغم شعوره بتوعك شديد، إلا أنه يريد أن يعلم ما يحدث.

- أريد أن أراها.

نظرت إليه المرأة منزعجة: «آه، يا سيدي، لا أظن...».

لم يكن مزاجه يسمح بأن يستعمل التهذيب، فهتف: «ماذا؟ ما الذي لا تظنيه؟ أن أذهب وأرى زوجتي؟ لقد تعرضت لحادث. تباً! حادث رفضت أنت أن تخبريني عنه. ولسبب ما، تقيم هي مع امرأة تكرهني، ما الذي تتوقعين مني أن أفعل؟ أنتظر حتى الصباح ثم أتصل بها هاتفياً؟».

تمتمت المرأة بتعاسة: «العل هذا هو الرأي الحكيم. أنا أعرف أنك

قلق!».

- هذا صحيح إلى حد لعين!

- لكن السيدة ريوردان شفيت من الحادث. لكن بعد ما قالته تلك المرأة، لعلها لا تريد أن...

فسألها بخشونة رغم أنه علم ما ستقوله: «أي امرأة؟ يا إلهي لا تخبريني أن كارين جونسون تلك عادت إلى هنا؟».

وتمالك قواه، ثم هب واقفاً: «متى؟ متى جاءت إلى هنا؟ هل هذا هو السبب في قولك إن راشيل لا تريد أن تراني؟».

عضت المرأة شفتها السفلى: «ظننت... ظننتك تعلم».

- أعلم ماذا؟

- عن... عن زيارة الآنسة جونسون.

- حسناً، لم أكن أعلم. اسمعي، لِمَ لا تخبريني بما جرى؟ أتريدين أن تقولي إن الحادث الذي تعرضت له راشيل له صلة بزيارة كارين؟ هل دفعتها فوقعت؟

أجفل حين شعر بضيق مفاجيء في صدره، ويبدو أن مدبرة المنزل لاحظت انزعاجه فأرادت أن تطمئنه: «لا أبداً في الواقع، ليس للآنسة جونسون علاقة بالحادث، فقد حدث بعد ذهابها. كنت أعلم أن السيدة ريوردان متكدرة. وهكذا، ربما كان لها صلة غير مباشرة...».

قبض جاك يديه وقال ساخطاً: «هل لك أن تكفّي عن الثرثرة وتخبريني بما حدث».

تحركت المرأة بضيق: «لا أعرف بالضبط ما حدث. كنت قد ذهبت إلى القرية لكن... حسناً، يبدو أن السيدة ريوردان ذهبت تتمشى عند الجرف... فوقعت!».

شحب وجهه: «وقعت من أعلى الجرف؟».

- هذا ما يبدو. تبعاً لقول الرجل الذي أنقذها، حزام سروالها هو

www.rewity.com
RAYAHEEN

الذي أنقذها فقد علق بجذع شجرة أو ما شابه، ولولا ذلك. . .

تلاشى صوتها فعاد جاك يجلس على الأريكة. . استطاع أن يتصور تماماً ما كان ليحدث لولا حبل الحياة ذاك. ورغم أن كارين لا علاقة لها بالأمر على ما يبدو، إلّا أنه كان واثقاً من أنها قالت شيئاً سبّب لراشيل من الكدر ما جعلها لا مبالية. لقد سبق وسارت على تلك الصخور مئات المرات من قبل.

عادت المرأة تقول وكأنها وجدت أن لا فائدة من إخفاء التفاصيل: «على أيّ حال، السيدة ريوردان في حال جيدة الآن. كانت محظوظة لأن السيد هاريس رأى ما حدث وهو ينزه كلبه على الشاطىء. وكان حاضر الذهن فطلب الإسعاف و. . .».

- فهمت ما حدث.

راح العرق يسيل منه لكنه استطاع أن يقف مرة أخرى. كان على حق حين ارتاب في ما قد تفعله كارين، لكن لِمَ ذهبت راشيل لتقيم عند لوسي روباردز بينما كان من الأفضل أن تأتي لوسي لتقيم معها؟

- على أيّ حال، لا أظن أنه ينبغي أن تخرج هذا المساء. عفواً لصراحتي هذه. . لكنك لا تبدو بحالة صحية حسنة. لماذا لا ترتاح قليلاً وتدعني أجهز لك عشاء خفيفاً؟ يمكنك أن تذهب لترى السيدة ريوردان صباحاً.

نظر إلى المرأة بمرارة وقال غير مصدق: «أنت تمزحين، أليس كذلك؟ لا يمكنك أن تتوقعي مني ذلك؟ يا إلهي. أريد أن أرى راشيل، أريد أن أرى بنفسي أنها بخير».

- حسناً، لا أظن أن عليك أن تأخذ الأمور بشكل مسلم به، يا سيد ريوردان.

كان يسير نحوها، لكنه توقف الآن: «ماذا؟».

تنهدت المرأة: «حسناً، السيدة ريوردان مستاءة جداً مما قالته

الآنسة جونسون. لا أظنها صدّقت كلامها كله، لكن عندما كانت في المستشفى. . .».

- هل كانت في المستشفى؟

- ليلة واحدة فقط، وكانت ثائرة الأعصاب قليلاً. على أيّ حال، أعتقد أنها أخبرت لوسي روباردز بأن الآنسة جونسون قالت لها إنها كانت معك في أرلندا.

- ماذا؟

- حتى أن الآنسة جونسون أرتها التذكرة، قائلة إنها استعملتها صباح وصول السيدة ريوردان نفسها إلى «باليريان».

- يا إلهي!

- لكن إذا قلت إن الآنسة جونسون لم تكن هناك وإنها لفقت كل ذلك، أنا واثقة من أن السيدة ريوردان ستصدقك.

١٢ - قلب جريح

- أتظنين أن عليّ أن أذهب لأراه؟

كانت راشيل واقفة عند نافذة غرفة الجلوس في منزل صديقتها، تحدق في المطر. لقد تعمدت أن تدير ظهرها للوسي كيلا ترى هذه ما يرتسم على ملامحها، لكنها خشيت من أن يبدو اليأس الذي تشعر به في صوتها.

مضت أربعة اسابيع على الحادث الذي كاد يودي بحياتها، وراحت تؤكد لنفسها بأنه كان حادثاً عرضياً... ورفضت أن تعتقد غير ذلك. وطوال ذلك الوقت، لم تتلق كلمة من زوجها رغم أنها علمت بأنه عاد إلى «ماركت أباس» منذ أسبوعين.

تنهدت لوسي التي جلست على مقعد بذراعين تستمتع باحتساء كوب من القهوة حضّرته راشيل لها لتوّها، ثم قالت: «هل أنت مجنونة؟ جاك يعلم أين أنت منذ أسابيع... منذ حادث سقوطك ذاك. فلماذا تذهبين لرؤيته؟ هل لتسأليه إن كان ما زال يحبك؟ أظننا نعرف الجواب أليس كذلك؟».

وشخرت ساخرة.

- أحقاً نعلم؟

جواب راشيل جعل لوسي تصيح بعجب مرة أخرى، لكنها تجاهلتها. لوسي لم تفهم، لم تفهم شيئاً، راشيل نفسها لم تكن تفهم الكثير، لكنها ما زالت لا تصدق كل ما قالته كارين.

وارتجفت، فبالرغم من تصميمها على أن تنظر إلى ما حدث وكأنه تخيّلات، إلّا أنها ما زالت ترتجف كلما ذُكر اسم تلك المرأة. ولكن أحداً لم يدفعها من فوق الصخرة، وراحت تطمئن نفسها إلى أنها تخيلت تلك اليد على ظهرها، والدفعة التي أرسلتها طائرة في الفضاء.

ومع ذلك، استمرت الكوابيس التي كانت كارين فيها جزءاً مما حدث، فتستيقظ وقد تملكها الخوف والتوجس. وكانت ساعات تمر قبل أن تتمكن من النوم مرة أخرى.

شعرت بالرغبة في التقيؤ فغالبت ذلك. فهي لا تريد أن تدع لوسي تشك في أن ما قالته كارين أو فعلته جعلها تخرج من بيتها، حتى ولو كان هذا صحيحاً. كلا، إنها تمكث هنا لأنها لا تريد العودة إلى ما يذكرها بمشهد الحادث. ليس الآن على أيّ حال، لكن إذا كان جاك هناك...

- لا أظنك تفكرين جدياً بالعودة إليه؟

نهضت لوسي وجاءت لتقف بجانبها، مرغمة راشيل على النظر إليها، ثم حبست أنفاسها: «يا إلهي، أنت تفكرين حقاً في هذا، أليس كذلك؟ أنت تبكين! أواه، يا راشيل. ماذا سأفعل معك؟».

هزت راشيل رأسها وهي تمسح دموعها بسرعة: «من الصعب أن أصدق أن جاك عاد إلى «ماركت أباس» من دون أن يأتي لرؤيتي، إذا ما عرف مكاني. مهما تكن أخطاؤه، هو ليس بهذا الشكل».

- كان هذا قبل أن تنشب كارين جونسون مخالبها فيه. ثم ألا تظنين أن مديرة منزلك لا بد قد أخبرته بمكانك؟ ألم تفكري قط في أن سبب عدم رؤيتك له هو شعوره بالخجل.

- نعم.

- أنت تعرفين إذن!

فجأة قالت راشيل بإصرار: «لكن ماذا قال حين اتصل به جورج

وأخبره بما حدث لي؟ كيف تصرف؟».

- عليك أن تسألي جورج عن ذلك. أخبريني يا راشيل، ماذا تريدين أكثر من ذلك لتقتنعي بأن جاك كان يكذب عليك؟ أتريدين اعترافاً بتوقيعه؟

ضغط راشيل شفتيها معاً، وقد عاودها الشعور بالغثيان. إنها لا تستطيع أن تصدق أن حياتها تحطمت في خلال أسابيع. متى كانت أول زيارة لكارين؟ في منتصف حزيران؟ والآن أوائل أيلول.

تملكها الارتياح عندما سمعت صوت رنين الهاتف. ورغم أن الأمل تملكها لحظة، إلا أن جواب لوسي أظهر أن المخابرة من وكالة صديقها في لندن. لكن هذا منح راشيل عذراً لتغادر الغرفة وتصعد إلى غرفتها حيث أغلقت الباب وجلست على سريرها.

ماذا عليها أن تفعل؟ لا يمكنها أن تستمر في العيش مع لوسي مهما رغبت صديقتها في ذلك. فهي لم تقم بأي عمل منذ الحادث. ورغم أن رب عملها تفهّم عذرها، إلا أنها عليها عاجلاً أم آجلاً أن تنهي الكتاب الذي بدأته قبل أن يحدث كل هذا.

وتذكرت ذاك اليوم الذي حصل فيه الحادث، وكأن كان بالأمس. تذكرت كيف تملكها التوتر بعد أن غادرت مدبرة المنزل البيت، وكيف أراقت الماء على إحدى رسومها المنتهية. وتملكتها موجة أخرى من الغثيان كانت أقوى هذه المرة ما جعلها تهرع إلى الحمام.

لديها الحق في أن تشعر بهذا التوتر. يا إلهي! سواء كانت كارين قد دفعتها من فوق الصخرة أم لم تفعل، نجحت بالتأكيد في تحطيم العلاقة الهشة بينها وبين زوجها.

عندما عادت إلى غرفة نومها، وقفت أمام المرآة تتفحص نفسها. رباه، يا لها من غولة...! أخذت تفكر في ذلك وهي تفرك خديها الشاحبين محاولة أن تبعث فيهما شيئاً من اللون. وبدا شعرها فاقد

الحيوية كما بدت هزيلة الجسم. لم تكن تمثل الصورة المثالية التي يجب أن تقدمها إلى رجل تعتقد أنه يخدعها.

هل هي تعتقد ذلك حقاً؟ يبدو هذا جنوناً إزاء ما في ذهنها من حقائق في هذه القضية. لم تستطع أن تطرد من ذهنها كلياً فكرة أن كارين لم تكن واثقة من نوايا جاك، وإلّا لما جاءت إليها لتعذبها، لكي تطلقه!

أم لعلها تخشى أن تحطم راشيل جاك مالياً إذا ما طلّقها؟ كم سيكون أسهل إذا ماتت راشيل فيتحكم جاك حينذاك بالمال والشركة.

هذه الفكرة سببت لها موجة أخرى من الغثيان. وكانت راشيل تخرج من الحمام للمرة الثانية عندما دقت لوسي باب غرفتها قائلة: «أيمكنني أن أدخل؟».

كانت راشيل تفضل ألّا تفعل لكن هذا بيتها، فأجابت: «طبعاً».

فتحت لوسي الباب وأدخلت رأسها منه ثم سألتها بشيء من القلق: «هل أنت بخير؟».

ورغم أن راشيل لم تكن تشعر بأنها بخير، إلا أنها أومأت قائلة: «أردت أن أستلقي قليلاً، هذا كل ما في الأمر...».

لم تكن صادقة تماماً في كلامها، لكنها تابعت تسأل: «ماذا أراد ستيفن؟».

فأجابت لوسي آسفة: «حسناً، هذا ما جئت لأخبرك به. إنه يريدني أن أعود إلى لندن مرة أخرى. لقد رتب أمر اجتماع بيني وبين رجل يهتم بتوسيع العمود في مجلاته المتعددة. لا أستطيع أن أخبرك باسمه قبل توقيع الاتفاقية، لكن ثقي بي... إنها فرصة كبيرة لي».

فقال راشيل بسرور خالص: «هذا رائع، هل ستكسبين مزيداً من المال؟».

- فعلاً، على الأقل عشرة آلاف أخرى في العام.

- هذا مثير.

- أحقاً؟

- ماذا تعنين بسؤالك؟ ولماذا لا أعنيه؟

وبدا أن راشيل جُرحت قليلاً. فبدا عدم الارتياح على لوسي وهي تجيب: «أوه... يبدو أن مهنتي ستنطلق في الوقت الذي... حسناً، في حين أنك لست قادرة على العمل».

- أتظنين هذا؟

وتساءلت راشيل عما إذا كان هذا صحيحاً تماماً. ربما ستشعر بتحسن إذا عملت. ربما سيساعدها هذا على استعادة ثقتها بنفسها. وعادت تقول: «حسناً، أنا مسرورة جداً».

ثم سألتها بشيء من الخشية: «متى سترحلين؟».

- حسناً، هل لديك مانع إذا ما ذهبت إلى المدينة بعد ظهر هذا اليوم؟ الاجتماع هو عند وقت الغداء غداً لكنني أفضل أن أمكث ليلة هناك أمنح فيها نفسي بعض الوقت للاستعداد... يمكنك أن ترافقيني إذا شعرت أن بإمكانك هذا.

- آه، كلا. سأكون فقط عقبة في الطريق.

وألقت بنفسها على جانب السرير لا تريد أن تعترف بالذعر الذي تملّكها للتفكير في بقائها وحدها لأول مرة منذ الحادث. وتابعت تقول: «سأكون على ما يرام هنا.. وربما أشتري كراسة ثم أبدأ بالرسم ما قد ينفعني عندما أعود إلى العمل. لا تقلقي عليّ، سأكون على ما يرام».

- هل أنت واثقة؟

بدا الارتياح واضحاً على لوسي واستطاعت راشيل أن تقول باسمة بضعف: «حظاً سعيداً، أنت تستحقين ذلك».

على أيّ حال، وبعد أن توارت سيارة الأجرة، حاملة لوسي إلى بلايموث لتدرك القطار المتوجه إلى لندن، شعرت بالبيت خالياً تماماً. لدى لوسي خادمة للتنظيف لكنها لا تأتي إلا مرتين في الاسبوع ولمدة

ساعتين، كما أن لوسي لا تختلط بالجيران.

وشعرت راشيل بوحدة مريعة، لكن كارين لا تعرف أين هي طبعاً. وحتى لو كانت تعرف، ماذا يمكنها أن تفعل؟ ربما تقتلها؟

لكن هذا أمر سخيف لا يقبله عقل. ليس لديها دليل على أن كارين كانت تنوي القيام بأي شيء عدا التفريق بينها وبين جاك للمرة الثانية. حتى أن الرجل الذي استدعى الإسعاف، ظن أنها سقطت على العشب الرطب. ولأنها رأت أنّ من السخافة أن تدّعي أن شخصاً ما دفعها، لم تعترض على قوله هذا.

في الواقع، وبعد أسابيع مما حدث، نجحت في إقناع نفسها بأنها تصوّرت ذلك. لكن الآن وفيما لوسي في طريقها إلى لندن، وبعد أن تأكدت من أنها ستمضي الليل ونهار غد وحدها، عادت الشكوك تساورها مرة أخرى.

عندما رن جرس الباب عصراً، كادت راشيل تقفز ذعراً. كانت قد فتحت التلفزيون آملة أن يعوّضها عن الأصحاب، لكن وقوف شخص ما عند الباب جعلها تدرك كم هي خائفة وبحاجة لبعض الصحبة.

حدثت نفسها بأنها ليست مضطرة لأن تفتح الباب، وتمنت لو أنها شغلت تلفزيون المطبخ الذي لا يمكن أن يُرى من الخارج. لكن، إذا حدث ونظر الزائر من النافذة، فسيراها وهي تسير متوترة في الغرفة. ولهذا، سارت ملتصقة بالجدار، ثم نظرت من خلال فتحة في الستائر، وأوشكت على الانهيار من فرط الارتياح. كانت هذه السيدة غريدي. لم تكن قد رأت مدبرة منزلها منذ دهور، منذ الأسبوع الذي تلا الحادث. لم تفكر في ذلك، حتى الآن، لكن خطر في بالها فجأة أن السيدة غريدي ترعى جاك من دون شك، وهذا هو سبب بقائها بعيداً عنها؟ وهذا يجعل لزيارتها سبباً مختلفاً بكل تأكيد. إذا كانت قادمة لتدافع عن جاك، فلا تعلم راشيل ما إذا كان عليها أن تسمح لها

بالدخول. فهذا بيت لوسي وليس بيتها، ولوسي لن تسمح لها بالدخول بالتأكيد.

دق الجرس مرة أخرى، وعندما لم تستطع أن تتجاهله أكثر، تنفست بعمق ثم خرجت إلى الردهة. رسمت على وجهها ابتسامة وسارت إلى الباب تفتحه، ثم قالت بصوت متكلف: «السيدة غريدي؟ هذه مفاجأة».

قالت مدبرة منزلها بعدم اقتناع مماثل: «ابتدأت أعتقد أنك لست هنا».

وصمتت لحظة ثم تابعت: «كيف حالك، يا سيدة ريوردان؟ كنت دوماً أفكر فيك، كثيراً».

- أحقاً؟ كما ترين، لقد تحسنت كثيراً.

- أصحيح هذا؟

ونظرت السيدة غريدي من فوق كتف راشيل: «هل الآنسة روباردز هنا؟».

لم تستطع راشيل أن تكذب على مدبرة منزلها، فقالت: «لا، لقد ذهبت لتوّها إلى لندن، لديها اجتماع هام».

قالت بلهفة وصوت منخفض: «هذا حسن، هل أستطيع أن أدخل؟».

فوجئت راشيل، إذ كانت تظن أن زيارة المرأة لها من باب الكياسة فقط، فقالت: «أنا مشغولة قليلاً».

كانت مدبرة المنزل أدهى مما تظن راشيل فأجابت: «مشغولة بماذا؟ بمشاهدة التلفزيون. اسمعي يا سيدة ريوردان، أعلم أن لديك أسبابك الخاصة التي تمنعك من دعوتي للدخول، لكن صدقيني أنك ستندمين إذا لم تفعلي ذلك».

ابتلعت راشيل ريقها: «آسفة، لم أفهم».

- آسفة، ولكن، صدقيني يا سيدة ريوردان... ثمة أمور ينبغي أن

تعرفيها.

جمدت راشيل مكانها: «إذا كان هذا يتعلق بكارين جونسون...».

- لا، حسناً، ربما بطريقة غير مباشرة.

- سيدة غريدي...

نظرت المرأة إليها متضرعة: «أرجوك، هذا أمر هام. كما أن ليس لدي الكثير من الوقت، لو عرف السيد ريوردان أين أنا...».

- أتعنين أنه لا يعلم؟

- طبعاً لا يعلم.

ونظرت المرأة من حولها وإلى الشارع وكأنها تريد أن تطمئن إلى أن أحداً لا يتبعها: «إنه... إنه نائم حالياً، ولكن...».

فقالت راشيل غير مصدقة: «نائم؟ لكن الساعة تقارب الخامسة؟».

فأجابت المرأة باستسلام: «أعلم. قلت لك إني أريد أن أتحدث إليك».

تنحت راشيل جانباً ريثما دخلت مدبرة المنزل فقالت لها: «الباب الأول إلى اليمين».

ثم أغلقت الباب ولحقت بها.

كانت السيدة غريدي تقف في منتصف الغرفة فأشارت إليها راشيل بالجلوس: «تفضلي بالجلوس».

وجلست أمامها وسألتها: «ماذا تريدين أن تخبريني؟ بأن جاك مريض مرة أخرى؟».

تنهدت المرأة: «إنه... ليس على ما يرام. في الواقع، هو ليس على ما يرام منذ فترة».

فقالت راشيل بفروغ صبر: «أعرف هذا. قال لي إنه كان يجهد نفسه في العمل، وهذا هو سبب سفره إلى إرلندا. كان بحاجة إلى راحة».

عضت المرأة شفتها وقالت: «نعم، هذا ما أخبرك به. لكن ألم

www.liilas-readingworld.com

يخطر لك قط أن ستة أشهر من الراحة هي مبالغة بالنسبة إلى شخص لا يعاني سوى إجهاد في العمل؟».

هزت راشيل رأسها: «ستة أشهر؟ أخبرني أنه ذاهب إلى إرلندا لقضاء شهر، وربما ستة أسابيع. لم يقل شيئاً عن ستة أشهر».

- لا؟ حسناً... أظنه لم يشأ أن يقلقك.

- يقلقني؟

ووقفت وهي تدسّ يديها في جيبي سروالها: «إنه لم يقلقني، بل أنت من أقلقني، يا سيدة غريدي. ما الذي تحاولين قوله؟ أن جاك كذب بالنسبة إلى حالته الصحية؟».

بدا الضيق على المرأة: «إنه لم... يكذب... بالضبط».

- لكنه لم يخبرني الحقيقة كاملة، أليس كذلك؟

شعرت راشيل بالذعر يتملكها، لكن كان عليها أن تتحكم في مشاعرها: «نعم، إنه ماهر جداً في ذلك».

- أنت لا تفهمين الأمر، يا سيدة ريوردان.

- ما الذي لا أفهمه؟ لم يشأ جاك أن يخبرني أن الطبيب نصحه بالاستراحة ستة أشهر بدلاً من ستة أسابيع؟ ولكن لماذا؟ عجباً، هل متطلبات حياته المزدوجة كلفته فوق طاقته؟

- لم يكن السيد ريوردان يحيا حياة مزدوجة.

ونهضت المرأة عن كرسيها بكبرياء غير متوقعة: «لا أستطيع أن أصدق أنك ما زلت تظنين هذا. ولكن إذا كنت تظنين هذا حقاً، فلا فائدة من استمراري في هذا الحديث».

وتناولت حقيبة يدها وسارت إلى الباب: «لقد حان وقت ذهابي على أيّ حال».

- كلا، انتظري، أنا آسفة. أعرف أنني تكلمت بمرارة، لكن ما حدث لي لم يكن سهلاً.

فأومأت المرأة: «بالنسبة إلى الحادث؟ نعم، يمكنني أن أفهم هذا».

- ثم... ثم الأمور التي قالتها المرأة؟ إذا... إذا لم يكن كلامها صحيحاً، ألا تظنين أن على جاك أن يخبرني؟

ترددت المرأة: «وقع الحادث منذ أربعة أسابيع، وأنت ما زلت تقيمين مع لوسي روباردز، أليس كذلك؟».

- وأنت تعرفين السبب.

- أحقاً أعلم؟

- نعم، لقد أوضحت ذلك لتوّي. لا يمكنني أن أعود إلى البيت، ما دام جاك...

- ما دام جاك ماذا؟

فتنهدت راشيل: «اسمعي، أنا أعلم أنك تناصرين جاك».

- أنا لا أناصر أحداً، يا سيدة ريوردان.

- ولكن عليك أن تعترفي أنه لم يكن حنوناً بعد ما حدث. تباً! لم يكلف نفسه عناء الاتصال بي عندما... عندما سقطت. كان الأمر بالنسبة إليه وكأن شيئاً لم يحدث.

فقالت السيدة غريدي ببساطة: «لم يكن يعلم».

لكن راشيل شخرت غير مصدقة: «بل يعلم. لقد اتصل به جورج توماس وأخبره في الليلة التي أخذوني فيها إلى المستشفى. لقد أكدت لي لوسي هذا».

- لا.

- ماذا تعنين بقولك (لا)؟

فقالت المرأة بعناد: «لم يكن يعلم. أنا مثلك، ظننته يعلم. يا للسماوات، كان علي أن أتصل به بنفسي لو شككت بأن...».

وسكتت فجأة ثم قالت: «على أيّ حال، لم يكن يعلم عن هذا

الحادث عند وصوله، وأنا على استعداد لضمان ذلك».

قطبت راشيل جبينها. ثمة أمر غريب في هذا التصريح، لكنها لم تستطع أن تكتشف ماهيته. لماذا مدبرة المنزل واثقة إلى هذا الحد بما أخبرها به جاك؟

هزت رأسها تطرد ذلك من ذهنها، وقالت: «حسناً، لا بأس، إذا كنت تقولين إنه لم يتلقَ أيّ اتصال فعليَّ أن أتقبل هذا. ومع ذلك لا يمكنك أن تنكري أنه عاد إلى البيت منذ أسبوعين من دون أن يعبأ بزيارتي أو حتى الاتصال بي».

- هذا صحيح.

إضطرت السيدة غريدي إلى الإقرار بصحة ذلك، فشعرت راشيل بأنها محقة بتصرفاتها لكن المرأة تابعت تقول: «إنه لا يستطيع، أو لعله لا يريد. آه، يا سيدة ريوردان. سيكرهني لأنني أخبرتك بهذا، لكن... حسناً... في الليلة التي عاد فيها من إرلندا، أصيب بانهيار».

- أصيب بانهيار؟

تملك راشيل الغثيان مرة أخرى عندما طالعتها فكرة أنها الملامة على ذلك. وتابعت السيدة غريدي تقول بتعاسة: «ومنذ عاد من المستشفى، وهو يجول حول ذلك المنزل كحيوان جريح!».

١٣ - مرارة الحب

أين السيدة غريدي بحق جهنم؟

كان جاك قد استيقظ منذ دقائق، شاعراً بالعطش والحمى، وبظهره يؤلمه للوضعية الخطأ التي كان عليها أثناء نومه. لكنه عندما ألقى بنفسه على الكرسي الجلدي في غرفته... كان ينوي أن يراجع مراسلاته لا أن ينام.

الدواء اللعين الذين يفرض عليه الطبيب تناوله هو المسؤول. ودفع نفسه للوقوف، شاعراً بمرارة شديدة في فمه. يُفترض بهذا الدواء أن ينظم دقات قلبه، لكنه وبدلاً من ذلك، كان أشبه بجرعة دواء منشّطة.

تقوست كتفاه وكأنه بحاجة إلى ما يتحكم في دقات قلبه. وأخذ يفكر عابساً في أنّ زوجته تركته، ولم يعد كل ما تفعله كارين يهمه. لقد انتهى زواجه. انتهت حياته. وسيستقيل في أسرع وقت ممكن من الشركة ويعود إلى إرلندا.

دفع نفسه ليقف على قدميه، ثم سار إلى المطبخ هابط الكتفين. لكنه لم يجد مدبرة المنزل هناك. تناول كأساً وملأها من الصنبور ثم أخذ يشربها وهو يحدّق من النافذة في المطر الذي يهطل على سطح استديو راشيل. تساءل إن كانت ستعود إلى هنا بعد رحيله. ربما، فهي لم تخرج من هذا المنزل إلا لأنه يعيش فيه.

ربما كان عليه أن يتصل بها. لقد أراد أن يفعل ذلك لشدة قلقه عليها، لكنه شكك في رغبتها في التحدّث إليه. فضلاً عن الأكاذيب

التي أخبرتها بها كارين، وهي أكاذيب صدقتها من دون شك بما أنها تركت المنزل. لم يشأ أن يعترف بما حدث له عند عودته. خشي أن يظهر بمظهر الأحمق مرة أخرى. إن انهياره أمام مدبرة المنزل عندما أخبرته عن سقوط راشيل، لم يكن بالأمر الذي يفخر به. على أيّ حال، لقد أفلح حتى الآن في الاحتفاظ بأسوأ جوانب وضعه الصحي لنفسه، وهو سيحرص على أن يبقى كذلك.

إن راشيل امرأة ذكية رائعة الجمال، وهي تستحق رجلاً أفضل من رجل مريض عاجز.

لكنه لم يكن بحاجة إلى أي طبيب ليخبره بأن ما من سبب يمنعه من الشفاء تماماً.

التشخيص كان... أن مشكلة جاك نفسية بقدر ما هي جسدية... وهذا لم ينفعه بشيء. لقد رفض أن يناقش الأمر مع أي شخص. رفض البوح بتفاصيل شخصية عن زواجه لشخص غريب، حتى ولو كان هذا قد علم بإجهاض راشيل والتوتر الواضح الذي أصابهما.

لكنه عاد ففكر في أن تباعدهما لعب دوراً في ظهور الأعراض التي تصيبه الآن. ففقدان ثلاثة أطفال والزوجة التي يحب أكثر من الحياة نفسها يمكن أن يفعل هذا بالرجل. لقد عالجت راشيل الوضع بطريقتها الخاصة، والتي كانت صعبة للغاية عليه. هل كانت جهوده للتحكم في رغباته هي السبب في آلامه هذه؟

على أيّ حال، بدأت مشاكله الصحية منذ أخذ يمضي مزيداً من الوقت في المكتب، ساعياً إلى الحصول على عقود أكبر وأفضل، دافناً ذهنه وأفكاره في أمور أخرى. كان يحاول أن يتصرف وكأن انسحاب راشيل من حياته لا يمزقه إرباً إرباً. وعندما أخذت كارين جونسون تترصده... وارتجف. فرغم أنها لن تستطيع أن تحدث مزيداً من الدمار في حياته، إلا أنه لم يستطع أن يمنع وخزة اليأس وهو يتذكر ما

ألحقته به تلك المرأة من ضرر.

ليته لم يتأثر بوضعها... يا ليته لم يدعها للخروج معه تلك الليلة. لو لم يفعل لما وجدت أساساً ترتكز عليه في ادعائها ذاك... وكانت لتبحث عن شخص آخر تستغله، ربما والد طفلها الحقيقي.

وعبس وقد تذكر ما قالته أمه. من المسؤول عن حمل كارين؟ من هو والد الطفل الذي تحمله؟ ورغم أنه من الصعب تصديق ذلك، إلا أنه قد يكون شخصاً من المكتب، وربما أحد المدراء.

سمع صوت سيارة السيدة غريدي فطرد هذه الأفكار. لا بد أن مدبرة المنزل اغتنمت فرصة وجوده في غرفة العمل في الحديقة فخرجت للتسوّق، وعبس. إنه يعلم أنه مريض متطلب، وأنها أصبحت تساوي ثقلها ذهباً منذ اكتشفت كم كان مخدوعاً، فهو لا يعلم كيف كان ليتصرف من دونها في الأسبوعين الماضيين.

سمع الباب الخارجي يفتح، لكن المرأة لم تدخل إلى المطبخ. لعلها تبحث عنه لتطمئن عليه. إنه ينقطع عن العالم عندما تخرج، ومن الأفضل أن يعلمها بمكانه قبل أن تبدأ بالبحث عنه في أنحاء البيت.

أنهى شرب الماء ووضع الكأس في الحوض ثم خرج من الغرفة متوجهاً إلى البيت.

لم يجد أيّ أثر لمدبرة المنزل، وخمّن أنها توجّهت إلى غرفته خارج البيت، فاتجه إلى تلك الناحية وكاد يصطدم براشيل التي كانت خارجة منها لتوّها.

- يا إلهي!

وتملكه الانزعاج عندما جعله حضورها المفاجيء يتمسك بجانب الباب ليسند نفسه. كانت آخر شخص يتوقع رؤيته. وجاهد لكي يفهم كيف جاءت إلى هنا.

- ظننت أني سمعت صوت سيارة السيدة غريدي؟

فقالت وهي تبلل شفتيها وتنظر إليه بحذر: «وهي كذلك فقد استعرتها».

- وأين المرأة إذن؟

وكأنه مهتم حقاً بمكان مدبرة المنزل. مجرد النظر إلى راشيل جعل من الخطط التي وضعها لمستقبله، أضحوكة. كيف يمكنه أن يرحل ومشاعره نحوها بهذا الشكل؟ قربها منه أثار رغباته وزاد لهفته، وطرد كل تعقّل من ذهنه.

بدت رائعة، نحيلة قليلاً لكنها جميلة كعادتها، بالرغم من محنتها على الجرف الصخري. بسروالها القصير والبلوزة الحريرية المشمشية اللون أضفت لمسة من أشعة الشمس على الردهة الغائمة الجو. وبدت عيناها داكنتين أكثر من العادة، ربما لأنه جعلها تجفل. وقالت تجيبه: «إنها في بيت لوسي».

وفجأة، فهم. لم تكن لهفتها لرؤيته هي التي أحضرتها إلى هنا، بل الشفقة بعد ما أخبرتها به تلك المرأة. وقال وهو ينتصب في وقفته: «فهمت، لقد أظهرت السيدة غريدي لونها الحقيقي أخيراً. لا بأس، لكن يدهشني أن توافق لوسي على قدومك إلى هنا».

فقالت بسرعة، متمنية لو أنها لا تشعر بمثل هذا الضعف، إذ لديها الكثير لتقوله: «لوسي لا تعلم أني هنا».

وجودها مع جاك جعلها تشعر بالضعف. بدا رائعاً كعادته في قميصه الأسود وسرواله الجينز القديم وقدميه الحافيتين. إنها متلهفة لأن تلمسه، لكن من الصعب مواجهة شكوكه الآن.

لوى شفتيه لقولها هذا وقال ساخراً: «دعي المزاح. والآن، لِمَ لم يخطر لي ذلك؟».

فارتجفت: «لا تكن بهذا الشكل».

- أي شكل؟

- أنت تعلم.

تمايلت في وقفتها: «جاك، علمت أنك لم تسمع بخبر سقوطي إلا بعد قدومك إلى هنا. لقد أخبرتني مدبرة المنزل بذلك».

- وطبعاً، مدبرة المنزل لا تكذب أبداً، لكنها لا تحفظ الأسرار.

وتابع بمرارة: «وماذا أخبرتك أيضاً؟ بأنني على شفير الموت؟ لا تقلقي، يبدو أنني جلبت هذا لنفسي».

- يا جاك، لا تمزح في هذا.

- أنا لا أمزح. ولكن عليك أن تعترفي بأن هذا يدعو إلى السخرية. لعلك تظنين أني أستحق ذلك.

رأى عينيها تغرورقان بالدموع، وتملكه الندم فجأة لما قاله: «على أيّ حال، لا تهتمي بذلك. كيف حالك الآن؟ ما حدث لك كان مخيفاً. أتعرفين كيف حدث هذا؟».

سألها باهتمام، وتمنت لو تعلم ما عليها أن تقول: «آه... أنا... هل من الضروري أن نتحدث في هذا الموضوع؟ أنا... أنت من جئت لأراه... هل تشعر بتحسن؟».

فقال من دون اهتمام: «أنا بخير، لا أدري ما الذي أخبرتك به تلك العجوز، لكن التقارير عن مرضي مبالغ فيها».

- جاك...

- أنا أعني ما أقول. وكما قلت لك قبل سفري، كنت بحاجة إلى بعض الوقت كي أرتاح من الشؤون المالية، والمخططات...

- لكن حالتك لم تكن مجرد إرهاق، أليس كذلك؟ تقول مدبرة المنزل إنّ لديك مشاكل في القلب.

- مدبرة المنزل تبالغ. وإذا جئت إلى هنا لتظهري تعاطفك معي فشكراً لك، ولكنه ليس ضرورياً.

- جاك...

- اسمعي. . . سأشفى من مرضي، ولن أموت. مفهوم؟ لن يحصل لي شيء كهذا. . . إنه ضغط العمل على الأغلب، وهو الذي سبب لي عدم الانتظام في دقات القلب. ومنذ اتبعت نصائح الطبيب، وتخليت عن القلق والإجهاد، شعرت بتحسن كبير.

حدقت فيه: «هل أنت واثق من ذلك؟».

شعر بأظافره تنغرز في راحتيه، فحاول أن يسترخي: «نعم، أنا واثق. وآسف لأن أخيّب أملك، يا حلوتي. لذا، إذا ما أردت التخلّص مني، فعليك أن تطلقيني».

شهقت: «لكنني لا أريد التخلّص منك».

فرفع حاجبيه ساخراً: «لا؟ لماذا تقيمين في بيت لوسي، إذن؟».

ومرة أخرى، حاولت راشيل أن تراوغ: «آه. . . إنها قصة طويلة. . . هل لديك فكرة عن شعوري عندما أخبرتني السيدة غريدي عن انهيارك؟».

فتأوه: «آه. . . لم يكن الأمر بتلك الخطورة».

- لكنه بدا خطيراً بالنسبة إليّ، لقد أبقوك في المستشفى أسبوعاً.

- كانوا يجرون لي فحوصات، هذا ما يفعله الأطباء. وأظنني حالة غير عادية.

- ما الذي حدث؟

فلوى فمه: «نعم. . . هذا سؤال يستحق مليون دولار».

فقطبت جبينها: «ماذا تعني؟».

- حسناً، واجهي الأمر، يا راشيل. أنا لست (الرجل المثالي) التي تظنين أنك تزوجته، أليس كذلك؟ ربما عليك أن تفكري مرة أخرى بذلك الطلاق.

حبست أنفاسها: «هذه سخافة وأنت تعلم هذا. وبحسب السيدة غريدي، وضعك قابل للشفاء».

وألقت عليه نظرة ملتهبة: «أتعلم؟ لقد نبهتني إلى أنك حزين على نفسك، لكنني لم أدرك مدى صدقها».

بدت كلماتها هذه خشنة، حتى في أذنيها. لكن عليها أن تهزه لتخرجه من لامبالاته هذه. أتراه يظنها تزوجته لسبب آخر غير أنها تحبه للغاية؟ رباه، إنها لا تهتم بما يفعله ما دام سعيداً وبصحة جيدة.

أدركت أنها قالت أكثر مما ينبغي عندما اعتدل فجأة وقال بجفاء: «شكراً يا راشيل، أعلم أن بإمكاني أن أعتمد عليك في أن تروي القصة، صح؟».

- كفى!

لكنه لم يكن يصغي إليها وهو يقول: «نعم، أنت محقة. أنا أشعر بالحزن على نفسي. حزين للغاية، كنت أظن نفسي منيعاً وأن بإمكاني أن أنضرر نفسياً. . . نعم، لكني قوي جسدياً. وإذا بشيء كهذا يحدث فأدرك أني كنت أسخر من نفسي، وأني مجرد إنسان كغيري، ولست فوق البشر».

فتنهدت: «كلنا بشر، يا جاك».

- نعم، هذا صحيح.

- من المؤكد أنك تعلم أنك كنت تعمل فوق طاقتك. أخذت مؤخراً تمضي مزيداً من الوقت في مكتبك، لتعمل على مدار الساعة تقريباً. لا عجب في أن أظن أنك على علاقة بامرأة أخرى. لم تكن معتاداً على البقاء ليلاً نهاراً في الخارج.

فهز كتفيه: «أعلم ذلك».

- لكنني لا ألومك. أنا أعلم أنني كنت عمياء وأنانية، ظناً مني أنني الوحيدة التي تألمت لفقدان أولادنا.

وحدقت فيه بيأس: «لقد فكرت في ذلك كثيراً منذ. . . منذ الحادث. كان يُفترض بهذه المأساة أن تجمعنا لكنني، وبدلاً من ذلك،

www.rewity.com
RAHEEN

جعلتها تفرّق بيننا».

- لقد انتهى كل ذلك الآن.

- لكنه هام. . . ألا ترى ذلك؟ لو أننا لم. . . لو أنني لم أبعدك عني، لما تمكنت كارين قط من أن تسبب لنا ضرراً.

فقال بخشونة: «نعم، كارين. كنت أتساءل متى رأيناها آخر مرة».

فعضت شفتها: «لقد جاءت إلى هنا، كما تعلم، أثناء وجودك في إرلندا. أخبرتني أنها كانت تقيم مع والديك».

وارتجفت وهي تقول ذلك، فقال جاك بصوت مرهق: «نعم، لقد أخبرتني السيدة غريدي».

- ولكن ألم تمكث معهما؟

- هل تصدقينني إذا قلت لا؟

وعندما أومأت عاد يقول: «حسناً، كانت تكذب. لقد ذهبت إلى هناك من دون دعوة، وذلك في الصباح نفسه الذي وصلت أنت فيه، فطردتها أمي».

- وهكذا. . . عندما كنا. . .

- في مكان آخر؟

- هل كانت في منزل والديك عندما كنا نسبح في البحيرة؟

فقال بفتور: «عندما وصلت، نعم. أردت أن أخبرك لكنني لم أشأ أن أفسد نهارنا ذاك. وبعدئذ، لم يعد هذا ضرورياً لأن أمي استدعت سيارة أجرة، ومنحتها أجرة تذكرة العودة إلى دبلين».

- آه، هذا حسن! لا بد أن كارين جن جنونها، لا عجب في أنها. . .

وضغطت خديها فجأة بيديها الباردتين فسألها: «لا عجب في ماذا؟».

فهزت رأسها: «هذا غير مهم».

- أخبريني؟

تنفست راشيل بعمق: «لا عجب في أنها أخبرتني بكل تلك الأكاذيب».

- أي أكاذيب؟

- عنك، وعن المنزل. لهذا السبب تمكّنت من وصف التفاصيل التي فيه. لا بد أن اليأس تملكها حين أخبرتها بأنني لا أصدقها.

أمسك جاك بذراعها: «هل أخبرتها أنك لا تصدقينها؟ هل يُفترض بي أن أصدق كلامك هذا؟».

فقالت بلهفة: «إنها الحقيقة. أعترف أنني، في البداية، لم أكن واثقة مما عليّ أن أصدّق. . . لكن. . . وبعد أن أصبح لديّ الوقت لأفكر. . .».

ونظرت إليه ببراءة: «عندئذ فقط تأكدت من أنها كاذبة».

- لماذا لم تخبريني إذن؟

- وكيف كان بإمكاني ذلك؟ هل نسيت أني تعرضت لحادث؟ لقد دامت الصدمة فترة، ثم. . . ثم سمعت بعودتك إلى إنكلترا، لكنك لم تعبأ حتى بأن تسأل عن حالي. لوسي قالت. . . حسناً، بدا أنك غير مهتم بي.

فقطب جاك حاجبيه: «لوسي؟ ربما كان من الأسهل لو أنها أخبرتني هاتفياً بما حدث لك قبل أن أعود إلى إنكلترا».

أومأت راشيل، لكنها قالت إحقاقاً للحق: «لم يكن هذا ذنبها. في الواقع، أكد لها جورج. . . جورج توماس كما أظن، أنه اتصل بك».

- حسناً. . . لم يفعل.

- أعرف هذا الآن. عندما أبلغتني السيدة غريدي بكل ما حدث، كان عليّ أن أراك.

فأخذ يمرّ بأصابعه على ذراعها: «هل أنت واثقة من أن هذا ليس

بدافع الشفقة؟».

ما زال غير مقتنع بأنه لا يتصور كل ما يحصل، الله يعلم أنه غرق في التخيّلات من قبل . . .

- ولماذا أشفق عليك؟

ومرّت بيدها على بشرة فكه الخشن، ثم قالت ببساطة: «أنا أحبك، لم أتوقف عن حبك قط».

تملك جاك الذهول، هذا ما كان يحلم به دوماً، ويصلّي لأجله. لكن بعد أن حدث الآن، لم يستطع أن يصدق. بعد كل ما فعلته كارين، بعد كل جهودها للتفريق بينهما، ما زال لا يصدق أن هذا انتهى.

سألته بعد أن أقلقها صمته المستمر: «أما زلت تحبني؟».

فأطلق نفساً مرتجفاً: «هل أنت بحاجة إلى سؤال؟».

لم تستطع أن تنتظر أكثر من ذلك فمدت يدها خلف رأسه وجذبت وجهه إلى وجهها. وتمتم وهو يسحقها على صدره، بينما يداه تشددان من احتضانها: «آه، يا إلهي».

وشعر بدوار. . . دوار ناتج عن معرفته بأن أحداً لا يستطيع أن يفصل بينهما مرة أخرى.

- جاك. . .

لكنه قاطعها قائلاً: «أريدك. أنت كل ما طلبته من الحياة، فلنصعد إلى غرفتنا أعلى».

ثم رن جرس الباب.

١٤ - كم كنت مخطئاً

- لا تفتح الباب.

تشبثت راشيل بذراعه، إنه يريدها، يا الله. . . ورغبته هذه ستجعله يفقد إرادته مرة أخرى.

ولكن هناك من يقف بالباب، ويبدو أنه يعلم بوجوده في المنزل.

- أنا مضطر لذلك، فقد يكون الطبيب.

وتأوه شاعراً بالحرمان وهو يسير نحو الباب.

- دكتور مور؟

- هو نفسه.

وسوّى ملابسه وهو يتابع: «اعتاد المجيء من وقت لآخر ليطمئن عليّ، انتظري هنا، سأتخلص منه».

ودفعها بسرعة إلى غرفة الخلوة بعد أن خمشت لحيته النابتة ذقنها وهو يسرق منها قبلة سريعة. وأومأت وهي تقول له: «لا تتأخر».

لم يجبها جاك، لكن النظرة التي ألقاها عليها كانت حافلة بالمعاني، ما جعل قلبها يخفق. وعادت إلى الغرفة مستجيبة لطلبه. لكنها وقفت بجانب الباب لتعرف من القادم. ورغم أنها لم تعد تشعر بالخشية الآن، إلا أنها أحست بوخزة تنذر بالشر عندما فتح جاك الباب: «جورج».

كان ترحيبه أقل حماساً من المعتاد، فقد دفعته الأحداث الأخيرة إلى إعادة تقييم ما قالته أمه عن جورج. كما أصبح لديه آراؤه الخاصة

بدور الرجل الآخر في كل هذا. في الواقع كان يؤجل المواجهة التي كان يعلم أنها قادمة لا محالة، خصوصاً بعدما حدث لراشيل. لكن الوقت لم يكن مناسباً الآن لذلك بكل تأكيد.

- جاك!

بدا، بحذائه الملمع وبذلته المخططة، وكأنه قادم من مكتبه مباشرة. وتساءل جاك عن سبب قدومه إليه عصر هذا اليوم. فباستثناء اتصالين أجابت عليهما مدبرة المنزل، لم يقم بأي محاولة لرؤيته منذ عودته! وهكذا جعل جاك يتساءل ما إذا كان على اتصال بلوسي روباردز فعرف أنها في لندن، وأراد أن يكتشف إذا كانت راشيل وحدها في بيتها أم أنها جاءت إلى هنا..

- مرحى، يا رجل.

هل صورت له مخيلته ذلك أم أن تحية جورج أكثر حرارة من المعتاد؟ ومدّ له يده ما أرغم جاك على أن يأخذها: «ما أحسن أن أراك».

- أحقاً؟

وسحب جاك يده حالما تمكن من ذلك، ثم مسحها بسرواله في بنطلونه. كانت يد جورج ساخنة مبللة بالعرق. وتساءل جاك عن السبب. وسأله: «ما الذي تفعله هنا، يا جورج؟».

- ماذا تظن؟

كان وجه جورج السمين متوهجاً وابتسامته مشبوهة. ومرّر يداً متوترة على صلعته: «كنت قلقاً عليك يا جاك. ألن تدعوني للدخول؟».

ابتسم جاك آسفاً: «آه... حسناً... وضعي محرج حالياً يا جورج، فلدي صحبة».

فتح جورج فمه ذاهلاً ثم هتف بفزع: «هل هي هنا؟».

ورغم أن الإغراء تملك جاك ليغيظه قليلاً، إلا أن شيئاً ما في وضع

جورج جعله يفكر مرة أخرى، ثم قال عاقداً حاجبيه: «في أي مكان آخر ستكون؟ إنها تعيش هنا، وإلا أين يمكن أن تكون؟».

- آه، أنت تعني راشيل، طبعاً، طبعاً.

وسحب من جيبه منديلاً مسح به جبينه: «الجو حار، أليس كذلك؟».

- نعم، إنه حار.

وافقه على ذلك بجفاء، وهو ينظر من فوق كتفه، همم... يمكنه أن يفكر في شيء آخر حار وهوأكثر إغراء من الوقوف هنا مصغياً إلى جورج.

وبفروغ صبر وبشيء من التوتر في صوته، قال: «هل هذا كل شيء؟ كما ترى، أشعر بتحسن شديد حالياً».

- هذا عظيم، متى سنراك في المكتب؟

هز جاك كتفيه: «هذا يتوقف على الظروف. ليس حالاً، كما يبدو. إنني أفكر في أخذ راشيل في شهر عسل آخر طويل حالما يمكنها الهرب».

قطب جورج جبينه: «يمكنها الهرب؟».

- نعم، فلديها التزاماتها هي أيضاً.

تردد جورج ثم قال: «حسناً، أنا... عليَّ أن أكون صادقاً. لم أعلم أكن عدتما إلى بعضكما البعض. آخر ما سمعته أنها تقيم مع صديقة لها... لوسي روباردز».

تصلب جسد جاك وسأله: «هل تعرف لوسي؟».

فأجاب جورج بسرعة: «إنها مشهورة بسبب العمود الذي تنشره في المجلة».

- وكيف عرفت أن راشيل تقيم مع لوسي؟ هل أخبرتك هي بذلك؟

تردد جورج: «ربما فعلت ذلك. أنا لست واثقاً.. من أين سمعت

ذلك. لكن هذا معروف في المكتب».

- أحقاً؟

وشعر جاك بالغضب يتملكه، لكن مرضه جعله يدرك أن الغضب لا يلائمه. قال: «أظن أنّ المرء إذا تعرض لحادث مهلك، فسيحتاج إلى من يرعاه ويقف بجانبه. وطبعاً لم أكن أعلم بهذا الأمر. ما من أحد كلّف نفسه عناء أن يخبرني».

فقال جورج متظاهراً بأنه صُدم: «أحقاً؟ أتعني أن تلك المرأة روباردز لم تعلمك؟».

قال جاك متمنياً لو يلكمه في صدره: «هذا ما يبدو، من المضحك أنها أخبرت راشيل أنك تبرعت بالقيام بذلك».

فقال جورج وهو يشهق ساخطاً: «كلا، أنا واثق من أنني لم أقل شيئاً كهذا».

ثم أضاف بسرعة وكأنه يحاول تغطية فعلته: «على أيّ حال، لعلي ترددت في القيام بذلك، أعني لم أشأ أن يعيق شفاءك يا جاك».

نظر جاك إليه مشككاً: «حسناً... سيسعدك أن تعلم أن... مراعاتك هذه مُقدّرة. لمعلوماتك، أنا وراشيل لم ننفصل عن بعضنا البعض قط».

تملك راشيل التي كانت تصغي من عند عتبة الغرفة الرضا، وتلهفت لأن تتقدم وتقف معهما، ثم تخبر جورج توماس برأيها في تصرفاته، وتتهمه بأنه يبذل ما في وسعه للتفرقة بينها وبين جاك.

لكن جورج عاد يتكلم بتوتر واضح: «أنت رجل محظوظ، لطالما كان هذا رأيي فيك».

- أحقاً يا جورج؟

كان بإمكان جاك أن يدع الأمر عند هذا الحد، لكن شيئاً ما دفعه للقول: «حتى عندما اتهمتني كارين جونسون بأنني والد طفلها؟ هيا...

لا أظن أنّ أحداً يحسدني على هذا».

- ربما لا. لكن أتعلم يا جاك؟ ثمة أناس يقولون إنك تستحق كل ما جرى لك.

حبست راشيل أنفاسها، لكن الاستنكار الذي انتظرته لم يأت. وعلى أي حال، لا بد أن جورج رأى في وجه جاك ما أزعجه، لأنه تابع بلهجة مختلفة تماماً: «أعني... إذا أنت لم تخرج معها وتظهر لها مودتك، فقد تقدم على إجهاض نفسها».

ساد الصمت لدى قوله هذا، ثم قال جاك بهدوء: «أتظن أنها تفكر في إجهاض نفسها، يا جورج؟».

تنحنح جورج: «كيف يمكنني أن أعرف ما تفكر فيه؟ لا يمكنني أن أقرأ ما في ذهنها يا جاك. أنت الذي أرادته وليس أنا».

- أحقاً كان الأمر كذلك، يا جورج؟

المعنى الذي تضمنته هذه الكلمات نزل على راشيل كالصاعقة. وفكرت راشيل غير مصدقة في أن جاك يعتقد أن جورج هو والد طفل كارين. لكن جورج سعيد بزواجه، ولديه بنات مراهقات.

ولكن هل زواج جاك منع كارين من اتهامه؟

صوت سيارة أخرى مقبلة نحو البيت صرفت أذهانهم جميعاً عن الموضوع... وتوقفت السيارة عند الفناء فيما تطاير الحصى من تحت عجلاتها. انفتح بابها ثم عاد فانغلق بعنف، ليرتفع بعد ذلك صوت كانت راشيل قد تمنت ألّا تسمعه مرة أخرى أبداً، صوت يهتف قائلاً: «حسناً، حسناً يا جورج، ما هذا؟ سباق إلى اغتنام الفرص؟».

ما سمعته راشيل كان كافياً... لن تستمر بالاختباء كفأرة خائفة بينما تلك المرأة تغزو بيتها للمرة الثالثة، سوّت ملابسها، ثم أخذت تمشط شعرها إلى الخلف بأصابعها وهي تسير إلى الباب المفتوح في الردهة. وفي الوقت نفسه، كان جورج يقول بخشونة: «أي شيطان

أحضرك إلى هنا يا كارين؟».

فقالت وهي تتقدم لتنضم إليهم: «يمكنني أن أوجه إليك السؤال نفسه. تساءلت إلى أين أنت ذاهب فتبعتك. يا للمفاجأة إذ حضرت إلى هنا مباشرة».

وشخرت ساخرة، فحملق جورج إليها. وأدرك جاك أن هذا ما عناه جورج عندما سأله عما إذا كانت (هي) هنا. لم يكن يعني راشيل بل كارين!

وتابع جورج مؤنباً: «ليس لديك الحق في القدوم إلى هنا، يا كارين. أنت غير مرغوب فيك، ظننت أن جاك سبق وأقنعك بذلك».

قالت كارين غاضبة وقد أظلم وجهها منذراً بالسوء: «لست هنا من أجل جاك».

وعندما جاءت راشيل وتأبطت ذراع زوجها، أضافت قائلة: «ثم ما الذي تفعله (هذه) هنا؟ أخبرتني أنهما، هي وجاك، يعيشان منفصلين».

تمتم جورج بضيق واضح: «لا أتذكر أنني أخبرتك شيئاً كهذا».

لكن كارين لم تتزحزح عن موقفها... فقالت بإصرار: «بل أخبرتني، وأتذكر أنك قلت إنها ذهبت لتقيم مع صديقة لها في القرية بعد خروجها من المستشفى».

ولوت شفتيها وهي تنظر إلى راشيل: «أخبرني جورج أنك سقطت بشكل شنيع».

شعر جاك بأظافر راشيل تنغرز في معصمه، لكنها لم تقل شيئاً. وشعر برغبة بالغة في حمايتها، فقال: «جورج يفهم الأمور خطأ دوماً... كان عليك أن تتعقلي ولا تصدقيه، يا كارين. وأنا واثق من أنه خذلك من قبل».

فقال جورج متمنياً لو تشق الأرض وتبتلعه: «اسمعي، ليس لديّ وقت لهذا. أنا مسرور لأنك تشعر بالتحسن، يا جاك. كما أنني مسرور

برؤيتك يا راشيل، أنت أيضاً».

والتفت إلى كارين وأمسك بذراعها: «هيا بنا، يا كارين. من الواضح أننا عقبة في طريقهما. دعيني أرافقك إلى سيارتك».

هزته بسهولة رغم ضخامته، قائلة: «دعني. لن أذهب إلى أي مكان. لن أذهب قبل أن أعلم ما أخبرت به جاك عني».

فقال جورج بذعر واضح: «لم أخبره شيئاً عنك، يا غبية».

وأضاف محاولاً عبثاً أن يجعلها تمسك بيده: «ألا ترين أنك تحرجين الكل هنا؟».

قالت هذا بازدراء: «الوحيد الذي أحرجه هو أنت يا جورج».

ثم التفتت إلى جاك وتابعت تقول: «لا تدعه يخدعك. لقد وضع برنامجاً معيناً. منذ اكتشف أنها بخير، بدأ يُعدّ العدّة».

وارتجفت راشيل عندما أخذت كارين تقيّمها بعينين باردتين بينما سألها جاك: «أي عُدّة؟».

ـ كارين...

تجاهلت كارين صرخة جورج المعذبة، ونظرت إلى راشيل بازدراء، وقالت ببرودة: «لا أدري ما الذي يراه جاك فيك. من المؤسف أن ذلك الرجل العجوز أنقذ حياتك».

قال جاك بخشونة: «هذا يكفي».

ثم نظر إلى جورج وعاد يقول: «ما هي تلك العدة التي تحدثت عنها؟».

تأوه جورج: «لا تصغ إليها يا جاك. لا تصدق كلمة مما تقول!».

فقالت كارين: «بل عليه ألاّ يصدق أيّ كلمة مما تقوله أنت».

ثم عادت تنظر إلى جاك مردفة: «جورج يعرف شعوري نحوك. لطالما عرف هذا لكن هذا لم يمنعه من إغرائي. ثم، وبعد أن حملت، استغل حبي لك لينقذ نفسه التعيسة».

www.rewity.com RAYAHEEN

فشخر جورج ساخراً: «الحب؟ أنت لا تعرفين معنى هذه الكلمة».

فقالت بحدة: «وهل أنت تعرف؟ كانت فكرتك أنت أن نخبر جاك أن الطفل طفله، لمجرد أني أفضيت إليك بأنه أمضى ليلة في بيتي».

تنقلت عينا جورج بين جاك وكارين، وهتف يقول: «إنها مجنونة. أنت أخبرتني بنفسك أنها كانت تترصدك. لا يمكنك أن تصدق أنني أرغب في أخذ أي جزء مما تريد أن...».

سكت فجأة عندما صفعته كارين، ورأت راشيل آثار أصابعها على وجنته المتوهجة، فيما صرخت كارين: «أيها النذل، أنت رغبت فيّ، رغبت فيّ لأنك ظننت أن جاك قد يرغب بيّ، وعندما لم يفعل هو، فكرت في أن تستغلني لتحطم حياته».

- هذه سخافة...

حاول جورج أن يتكلم مرة أخرى لكن كارين سبقته قائلة لجاك: «لماذا تظن أن راشيل وصلت فجأة إلى «باليريان» يوم وصلت أنا؟ صديقك العزيز اقترح ذلك».

جف فم راشيل: «جورج..؟».

فأصر هذا قائلاً: «إنها كاذبة... ألا ترين ذلك؟ لقد حاولت في البداية أن تخدع زوجك. وبما أن هذا لم ينفع، أخذت تلومني!».

هذه المرة، تركته كارين يقول ما يريد، ثم قالت: «لا أظن أن راشيل تصدقك، بعدما حدث لها».

وكانت تنظر في عيني راشيل بحقد، ثم تتابع: «عليها أن تعلم أنني ما كنت لأفعل ما فعلت لو لم أكن يائسة».

فسألها جاك متجاهلاً محاولة جورج للكلام: «وما الذي فعلته يا كارين؟ هيا، قولي، أريد أن أعلم».

- أتعني أنها لم تخبرك؟ مسكينة يا راشيل! هل كنت خائفة من أن يكون جاك هو الذي جعلني أدفعك لتسقطي من على ذلك الجرف؟

- لماذا لم تخبريني؟

طرح عليها هذا السؤال في ما بعد. ورغم أن جاك حاول أن يستدعي الشرطة، إلا أن راشيل أقنعته بأن يدعهما يرحلان. لم تكن تستطيع أن تحتمل مواجهة الرعب الذي رافق سقوطها مرة أخرى، كما أنها لا تظن أن ثمة من أرغم كارين على أن تفعل ما فعلت.

لقد شعرت بالارتياح وهي تدرك أنها لم تتخيّل تلك الدفعة، وتلك اللحظة الفظيعة حين أدركت ما من سبيل للنجاة.. وجدت كارين فرصة تتخلص فيها من منافستها مرة واحدة وإلى الأبد.

تنهدت راشيل، كانا في غرفة النوم التي تشاركاها في السنوات الثلاث الأولى لزواجهما. أثناء محاولات جورج الدفاع عن نفسه، كانت مدبرة المنزل قد عادت مشياً على الأقدام فشعرت راشيل بالارتياح لهذه الفرصة التي أتيحت لها.

سألته ببساطة وهي تقف عند النافذة وظهرها إلى الغرفة: «كيف أتوقع منك أن تصدقني بينما لم أشأ أن أصدقك؟».

وصمتت لحظة ثم تابعت: «يا إلهي، يا جاك. تراكم بيننا الكثير من سوء التفاهم. أريد فقط أن أضع كارين والماضي خلفنا».

- ولكن كان بإمكانها أن تقتلك.

وأضاف بصوت أبح وهو يتقدم ليقف بجانبها واضعاً ذراعه حول كتفيها: «ماذا أقول؟ كادت تقتلك لو أن ذلك الرجل لم يكن ينزه كلبه».

فارتجفت: «لا تحدثني عن ذلك، بقيت أسابيع أعاني من الكوابيس. منذ وقع الحادث وأنا أحاول أن أنسى كل شيء عنه».

فقال جاك بصوت ثخين: «أما أنا فلن أنساه».

ثم انحنى يطبع قبلةعلى كتفها مضيفاً: «أنت أثمن ما لدي في الوجود، كلما تذكرت أنني كنت سأفقدك بسبب تلك المرأة».

- لقد انتهى ذلك، يا جاك.

واستدارت إليه ووضعت ذراعيها حول عنقه وهي تقول: «لقد عدنا إلى بعضنا البعض، وما من شيء أو أحد يمكن أن يفرقنا بعد الآن».

- من الأفضل أن تصدقي أنت هذا.

ورغم أن جاك كان غاية في الرقة، إلاّ أنها أحست باللهفة التي يجاهد للتحكم فيها. وخطر لها أنه يظنها ما زالت تعاني من الصدمة، ومن الممكن أن تتكسّر إلى آلاف القطع إذا تصرف معها بخشونة فائقة.

كم كان مخطئاً...

همس وهو يضمها: «أريدك».

أطلق جاك نفساً مرتجفاً. كان رأسه يدور لكنه شعور جيد، لا يشبه ذلك الدوار الذي عانى منه قبل. مجرد وجوده مع راشيل مرة أخرى، عالماً بأنها ما زالت تحبه، منحه شعوراً بالرضى لا يصدّق. كان حبه لها بالغاً، لكنه ظنّ طويلاً أنه فقدها.

الخاتمة

بعد ستة أشهر، ذهب جاك إلى المستشفى مرة أخرى، لكن ليس للاطمئنان على صحته هذه المرة.

لقد أنجبت زوجته البارحة طفلهما الأول. ورغم أن جاك بقي بجانبها طيلة الوقت، إلاّ أن الفريق الطبي طلب منه أن يذهب إلى بيته، كي تتمكن زوجته وطفله من أن يرتاحا.

كره جاك ذلك، لكنه كان يعلم أن عليه أن يقوم بالكثير من الأمور، أولها أقلها الاتصال بوالديه ليبشرهما بالحدث السعيد، وإعلام السيدة غريدي بذلك.

ما زال يجد صعوبة في أن يصدق أنه أصبح أباً أخيراً. حالما عاد هو وراشيل للعيش معاً، أصرّ على أن يستعمل مانع الحمل. إذ لم يشأ أن تعاني من إجهاض آخر! لكن الأوان كان قد فات.

كل تلك الاضطرابات المعوية التي عانت راشيل منها حين كانت تقيم مع لوسي، والغثيان الذي كانت تعزو سببه إلى توتر أعصابها وخشيتها من تهجم كارين عليها، كان له سبب مختلف تماماً. لكنها لم تعلم بأنها حامل حتى ذهبا يستمتعان بشهر عسل آخر في جزر الكاريبي، حيث اكتشف طبيب عالجها من ضربة شمس أنها حامل وفي الشهر الرابع تقريباً. وتبعاً لقول الطبيب، ما دام الحمل تجاوز التاريخ الذي كانت تجهض فيه سابقاً، فلا حاجة للقلق من الإجهاض هذه المرة. فقد كانت راشيل في صحة جيدة كما أن دقات قلب الطفل قوية. وطالما لا

تقوم بأي جهد، ما من سبب يحول دون أن تلد طفلاً صحيحاً.

كان شعور جاك مزيجاً من البهجة والقلق.

القلق لأن راشيل ستلومه إذا حصل أي خطأ، والبهجة لأنه سيصبح لديهما طفل أخيراً. لم يكن عليه أن يقلق، فراشيل مبتهجة ومتفائلة، بعد أن منحها الدكتور لوبيز الثقة والإيمان بنفسها مرة أخرى.

ولم يكن ثمة عقبات ولا مشاكل سوى الاحتفالات التي تستمر إلى وقت متأخر من الليل، وكانت صحة راشيل جيدة إلى حد أنها استمرت معه بممارسة عملها حتى قبل الولادة بأيام قليلة.

ثم ولد الطفل جيمس ريوردان الليلة الماضية. كان وزنه أربعة كيلوغرامات، وصحته جيدة. وقد شعرت راشيل بالإرهاق بعد الولادة، لكنها كانت مزهوة للغاية بطفلها، ولم يستطع جاك أن يحول نظراته عن هذه الأم الرائعة الجمال، إلا عندما حمل ابنه. وبدا جيمس شبيهاً به إلى حد محيّر. ورغم أن تواضعه منعه من أن يقول هذا، إلا أن راشيل بنفسها قالت ذلك وهي تبتسم بكبرياء.

همست تداعبه وهو يعيد إليها الطفل: «نرجو ألّا يحذو حذو أبيه ويحطم الكثير من القلوب. لكنه جميل، أليس كذلك يا جاك؟».

وصمتت ثم أضافت مضيفة: «لطالما كنت أراك رجلاً رائع الجمال».

تمنى لو يقبلها، لكنه اكتفى بملامسة وجنتها بحنان، وهو يرى الممرضة تراقبهما: «سأذكرك بذلك حين نعود إلى البيت. نامي الآن لن أغيب طويلاً».

كانت بهجة والديه بالغة للخبر السعيد، وتلهفا لرؤية القادم الجديد ووعدا بأن يأتيا لزيارتهم في الطائرة في نهاية الاسبوع، بعد أن تكون راشيل قد استعادت قواها. وبعد ذلك بشهرين، سيتوجه جاك وراشيل والطفل إلى إرلندا لقضاء ستة أشهر. وكان جاك قد عمل بنصيحة أبيه

وجدد منزل (ريان هاوس). ورغم أن المنزل لم يأت كما تمنى جاك، إلا أنه سيتسنى له الوقت لإجراء التغييرات النهائية أثناء إقامتهما هناك.

وطالت الترتيبات الجديدة شركة (فوكس) أيضاً، إذ اضطر جاك آسفاً، لأن يجد لنفسه مديراً بدلاً من جورج. وتولّى دايفيد كولمان المسؤولية أثناء غياب جاك الذي أمل أن يمضي نصف السنة في إرلندا، ونصفها الآخر في إنكلترا. من الآن فصاعداً، لن يتصل بالشركة إلا عند الحاجة، وبواسطة الانترنيت.

الشيء الوحيد الذي أحزن جاك هو أن زوجة جورج طلبت الطلاق، بعد أن صدمها وآلمها أن تعلم أنه كان له علاقة بامرأة أخرى، واكتشافها أن كارين انجبت منه حطم ثقتها به. آخر ما سمعه جاك وراشيل هو أن جورج وكارين وطفلتهما يعيشان الآن في لندن. وقد اتصلت زوجة جورج بمحام لرفع قضية الطلاق بينما رفضت بناته الثلاث المراهقات التحدّث إلّى والدهما.

أما صحة جاك فأصبحت ممتازة. وكان قد أجرى فحصاً شاملاً منذ أسابيع، فقال الدكتور مور إن الأمور عادت إلى نصابها بعد أن أخذ يعتني بصحته... وكانت راشيل قد أصرت على أن تهتم بذلك شخصياً.

لقد أفادهما حتماً تغيير نمط حياتهما، كما أن حبهما لبعضهما البعض ازداد قوة واكتملت آمالهما بمجيء الطفل. وهكذا، أصبحا أخيراً أسرة كاملة.

وكانا اتفقا على استخدام مربية قبل سفرهما إلى إرلندا، فقد رغبت راشيل في أن تتابع عملها. وأسعدهما أن يكون في حديقة البيت في «باليريان» في إرلندا منزلاً صيفياً حوّله جاك إلى ستوديو لزوجته.

الأمر الوحيد الذي أقلقهما هو أن مدبرة المنزل قد تجد في هذا التغيير ما لا تستطيع مواجهته. فاضطرارها للتنقل بين منزلين قد يثبط من

عزيمتها، وسيدمرهما فقدانها.

على أيّ حال، تلقت السيدة غريدي خبر احتمال إقامتهم في «باليريان» بابتهاج... فهي لم تذهب إلى إرلندا قط من قبل، وكانت تتمنى دوماً لو تزورها. كما أنها تساءلت من غيرها يمكنه أن يراقب المربية أثناء انشغال راشيل بعملها؟

لاحت أمامه بوابة مستشفى «القديس لوقا» فولجها. وبعد أن أوقف سيارته، حمل باقة ضخمة من الأزهار، وحقائب الملابس لراشيل والطفل، والكرسي التي يُفترض أن ينام فيها طفله أثناء رحلتهم من المستشفى إلى البيت، ثم توّجه إلى المدخل.

كان قسم الولادة في الطابق الأخير فاستقل المصعد، رغم رغبته هي أن يستخدم السلالم. لكن ما عاناه مؤخراً علمه الحذر.

رافقته رئيسة القسم إلى غرفة زوجته، وهي تقول باسمة: «نامت السيدة ريوردان جيداً، وهي متلهفة للعودة إلى بيتها. أتظن أنّ بإمكانك أن تتصرف؟».

- بالنسبة إلى الذهاب إلى البيت؟ الآن؟

لا بد أن الخشية بدت عليه لأن الممرضة ربتت على ذراعه تطمئنه وقالت: «لا تقلق، الأطفال ليسوا حتى بنصف الهشاشة التي تبدو عليهم».

وفتحت باب الغرفة مشيرة إليه بأن يدخل. كانت راشيل متكئة على الوسائد وقد ارتدت عباءة فيروزية اللون، فأدرك جاك أنها كانت خارج السرير. ورغم أنها كانت مستلقية تتأمل طفلها، إلا أنها انتصبت جالسة عند دخوله وفتحت له ذراعيها.

وضع ما في يده ثم تقدم وجلس على جانب السرير: «هيه... كيف حالكما؟».

فأجابت برقة وهي تضع ذراعيها حول عنقه: «في أحسن حال، هل

سمعت؟ يمكننا أن نذهب اليوم إلى البيت».

فأجاب وهو يبادلها قبلتها: «نعم، سمعت. هل أنت واثقة من أنك ستكونين بخير؟».

نظرت إلى صدر ثوبها المفتوح، ثم ألتفتت إليه بخجل: «نعم... لقد رضع جيمس مني اليوم لأول مرة، فكان إحساسي رائعاً!».

- أنا غيور منه.

فقالت تطمئنه بحلاوة بالغة: «ليس لك أن تغار منه. أنا طبعاً أحب جيمس، لكنني أحب أباه أكثر مما أستطيع أن أعبّر».

لم يستطع أن يقاوم دفن وجهه في عنقها وهو يقول بخشونة: «حاولي، يا إلهي، ما أطيب رائحتك».

ابتسمت ونظرت إلى خلفه: «هل تلك الأزهار لي؟ إنها رائعة، ولكن علينا أن نعود فنأخذها إلى البيت».

فقال وهو يحيط وجهها بكفيه وينظر إليها جائعاً: «إنها لرئيسة القسم. سأحضر لك أزهاراً عندما نصل إلى البيت».

- لا بأس، بالمناسبة اتصلت لوسي هذا الصباح.

- آه، أحقاً؟

توترت العلاقات بين لوسي وزوجته منذ علمت أن لوسي كانت قد ارتابت في صحة قول جورج توماس أنه اتصل بإرلندا، لكن جاك لم يشأ أن يدع سيرة تلك المرأة تعكر مزاجه. وأجابت راشيل وهي تضع إصبعها على فمه: «نعم، يبدو أنها اتصلت بالبيت لتخبرني بأنها راحلة نهائياً إلى لندن الأسبوع القادم، واضطرت السيدة غريدي لأن تخبرها بمكاني. ثم... حسناً، لقد هنأتنا، ليس لديك مانع، أليس كذلك؟».

فقال مكشراً: «لا أظن ذلك».

- هذا حسن.

لم تشأ أن تتحدث عن لوسي، لكن كان ثمة ما ينبغي أن يقال:

«أعلم أنكما لم تنسجما معاً قط لكنها ساعدتني عندما كنت بحاجة إليها. لا أظننا سنعود صديقتين مرة أخرى لكنني مسرورة لنجاحها في عملها».

قال برقة بالغة وهو يمرّ بإبهاميه على حاجبيها: «أنت امرأة كريمة للغاية، يا راشيل، وأنا أحبك ولن أدعك تتركيني أبداً».

فقالت وهي تضغط جسمها على جسمه: «هذا حسن لأنّ شعوري مماثل. والآن، عليَّ أنا أن أرتدي ملابسي، فهلاّ حملت ابننا؟».

www.rewity.com
^RAYAHEEN^